كشف اللثام
شرح نواقض الإسلام

لإمام الدعوة الشيخ المجدد

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان

التميمي رحمه الله

لأبي عائشة محمد بن سميح

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

كَشِفُ اللِّثَام شَرْح نَوَاقِض الْإِسْلَام

لِإِمَامِ الدَّعْوَةِ الشَّيْخِ المُجدِّد

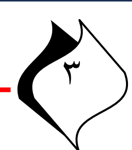
مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الوَهَّابِ بْنِ سُلَيْمَانِ التَّمِيمِيِّ

رَحِمَه الله

==

لأَبِي عَائِش مُحمَّد سَمِيح فَاضِل فَضْل الْشَيْخ

حفظه الله



متن نَوَاقِضُ الإِسْلَامِ

لِإِمَامِ الدَّعْوَةِ الشَّيْخِ المُجدِّدِ

مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الوَهَّابِ بْنِ سُلَيْمَانِ التَّمِيمِيّ

===

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعْلَمْ أَنَّ نَوَاقِضَ الإِسْلَامِ عَشَرَةُ نَوَاقِض :

الأَوَّلُ :

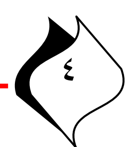
الشِّرْكُ فِي عِبَادَةِ اللهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء ﴾ وَقَالَ تَعالَى: ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ وَمِنْهُ الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللهِ، كَمَنْ يَذْبَحُ لِلْجِنِّ أَوْ لِلْقَبْرِ.

الثَّانِي :

مَنْ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ وَسَائِطَ يَدْعُوهُمْ وَيَسْأَلُهُمْ الشَّفَاعَةَ، وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِمْ كَفَرَ إِجْمَاعًا.

الثَّالِثُ :

مَنْ لَمْ يُكَفِّرْ المُشْرِكِينَ أَوْ شَكَّ فِي كُفْرِهِمْ، أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ، كَفَرَ.



الرَّابِعُ :

مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ غَيرَ هَدْيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَم أَكْمَلُ مِنْ هَدْيِهِ وَأَنَّ حُكْمَ غَيْرِهِ أَحْسَنُ مِنْ حُكْمِهِ كَالذِينَ يُفَضِّلُونَ حُكْمَ الطَّوَاغِيتِ عَلَى حُكْمِهِ فَهُوَ كَافِرٌ.

الخَامِسُ :

مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَم – وَلَوْ عَمِلَ بِهِ –، كَفَرَ.

السَّادِسُ :

مَنِ اسْتَهْزَأَ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَم، أَوْ ثَوَابَ اللهِ، أَوْ عِقَابِهِ، كَفَرَ، وَالدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ * لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴾

السَّابِعُ :

السِّحْرُ – وَمِنْهُ: الصَّرْفُ وَالعَطْفُ–، فَمَنْ فَعَلَهُ أَوْ رَضِيَ بِهِ كَفَرَ، وَالدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ ﴾

الثَّامِنُ :

مُظَاهَرَةُ الْمُشْرِكِينَ وَمُعَاوَنَتُهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَالدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ .

التَّاسِعُ :

مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَسَعُهُ الخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَم كَمَا وَسِعَ الخَضِرُ الخُرُوجَ عَنْ شَرِيعَةِ مُوسَى عَلَيهِ السَّلَامُ، فَهُوَ كَافِرٌ .

العَاشِرُ:

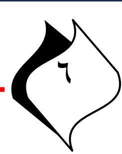
الإِعْرَاضُ عَنْ دِينِ اللهِ تَعَالَى لَا يَتَعَلَّمُهُ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ، وَالدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ .

وَلَا فَرْقَ فِي جَمِيعِ هَذِهِ النَّوَاقِضِ بَيْنَ الهَازِلِ وَالجَادِّ وَالخَائِفِ إِلَّا المُكْرَهِ.

وَكُلُّهَا مِنْ أَعْظَمِ مَا يَكُونُ خطَرًا، وَأَكْثَرِ مَا يَكُونُ وُقُوعًا، فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَحْذَرَهَا وَيَخَافَ مِنْهَا عَلَى نَفْسِهِ.

نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ مُوجِبَاتِ غَضَبِهِ، وَأَلِيمِ عِقَابِهِ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .



بين يدي الشرح

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، **أما بعد:**

فهذا تفريغ لشرح رسالة نواقض الإسلام العشرة للإمام المجدد محمد ابن عبد الوهاب –طيب الله ثراه– ويأتي هذا التفريغ ضمن سلسلة شروح الكتب والرسائل التي تتناول العقيدة، والفقه وأصوله، واللغة. الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَى– أمرنا بتعلم هذا الدين؛ إذ إنه سبيل النجاة في الدنيا، ولأهمية العلم أمر رسولَه صلى الله عليه وسلم أن يطلب المزيد منه، فقال تعالى ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ وقال نبينا –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**من يُرد الله به خيرًا يُفقهه في الدين**»، فالخير كل الخير في تعلم دين ربنا، وتعلم أحكام الدين وأصوله فيه النجاة في الدنيا والآخرة، خاصةً إذا كان هذا الأمر مؤسَسًا على كتاب الله وعلى سنة النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وعلى ما كان عليه أصحاب النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وكذلك إذا كانت العناية فيه بجانب التوحيد والعقيدة، بمعنى لا إله إلا الله وشروطها ونواقضها، وبمعنى محمد رسول الله، هذه الكلمة التي من أجلها خلق الله السماوات والأرض، والجنة والنار، وأنزل الله الكتب وأرسل الرسل، وجعل الناس فريقين: فريقًا في الجنة، وفريقًا في السعير، أعني كلمة التوحيد لا

إله إلا الله، لا بد أن نعلم معناها، وأن نعمل بمقتضاها، وأن نحذر مما يُضادها وينقضها.

إن الإنسان قد يقع في الشرك، وفيما ينقض هذه الكلمة بعلم وبغير علم، ولذلك كان من الواجب عليه أن يتعلم دين ربه وأن يتعلم التوحيد.

فنبدأ الليلة إن شاء الله برسالة وجيزة في نواقض الإسلام، أي: الأمور التي قد يقع فيها المرء عن علم أو جهل يخرج بها من الإسلام إلى الكفر، كسبِّ الدين وما أكثرَه بيننا! كثير من الناس يتساهل في هذا الأمر ويظن أن الأمر يسير يغفره كونه كان غاضباً، وهو مُخرج من الإسلام إلى الكفر، لو مات صاحبه لحُرِّم جسده على الجنة، لا يدخل الجنة، وإنما يُخلَّد في النار، فهذه رسالة من الأهمية بمكان، وهي مُعنونةٌ بـ **(نواقض الإسلام)**، أي: الأمور التي تنقض وتهدم الإسلام.

وهي لشيخ الإسلام الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي الحنبلي، الإمام المعروف، الذي وُلد في السنة الخامسة عشر والمائة والألف بعد هجرة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وُلد في قرية العُيينة، ونشأ بها في بيت علم وفضل، كان أبوه عالمًا، وكان جده عالمًا، ولا شك أن ذلك يؤثر في تربية المرء، وكان لهم باع كبير في الفتيا والتدريس، بعد أن نشأ وحفظ القرآن رحل إلى مكة والمدينة، فحج واعتمر، وطلب العلم على علماء بلاد الحرمين، ثم ذهب إلى البصرة، وفي كلِّ ذلك يرى ما كان عليه الناس من العوام والجُهال، من الوقوع في الشرك؛ من عبادة

القبور والطواف بها، والذبح، والنذر لغير الله، وغير ذلك من الأمور التي كانت منتشرة في هذا الوقت.

ففعل كما فعل النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وكما فعل الأئمة المُهتدَى بهم، دعا إلى توحيد ربه، وإلى محاربة هذا الشرك الذي يُخالف دين رب العالمين، فأُوذيَ -رحمه الله- كما كان الأنبياء يُؤذَون إذا دعوا إلى دين رب العالمين، وأُخرج من البصرة، فانتقل إلى العُيينة، إلى مسقط رأسه، حيث وُلِد، فأُوذيَ كذلك لما دعا إلى التوحيد، فانتقل إلى منطقة تسمى بالدرعية، فكان أميرُها وقتئذٍ محمدَ بن سعود، وهو الذي سميت الدولة بعد ذلك باسمه، دولة السعودية، نسبة إلى الأمير محمد بن سعود -رحمه الله-.

عرض الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- عليه دعوته، وبيَّن له أهمية الدعوة إلى التوحيد وإلى الدين الذي جاء به النبي الأمين -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يدعو إلى الأخذ بالكتاب والسنة، وإلى ما كان عليه أصحاب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وسلف الأمة، فأعجبته هذه الدعوة، فناصرها وأيدها هو وأبناؤه من بعده، فأيده بعده ولده عبد العزيز، ثم سعود بن عبد العزيز، ثم ها هي المملكة أو السعودية حرسها الله إلى الآن تنصر هذه الدعوة، أعني الدعوة القائمة على توحيد رب العالمين.

هذا العَلَم ألَّف كثيرًا من المؤلفات في الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك، فألف هذا الكتاب الذي معنا **(نواقض الإسلام)**، ويأتي الكلام على معناه، وألف رسالة **(القواعد الأربع)**، تأتي كذلك معنا إن شاء الله، و**(الثلاثة الأصول)**،

و**(كشف الشبهات)**، وكتاب **(التوحيد)** الذي لم يُؤلَّف مثله في بابه في توحيد العبادة.

وعُمِّر طويلًا -رحمه الله- وخير الناس من طال عمره وحسن عمله ، كما قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«رجل يطول عمره»**، يُعمَّر في الإسلام ثمانين سنة، أو تسعين سنة، **«ويحسن عمله»**، أي يوحد الله تعالى، ويحافظ على الصلاة، والصيام، والحج، وعبادة الله، ويبتعد عما يُغضب الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فهذا خير الناس، **«وشر الناس من طال عمره وساء عمله»**، عياذًا بالله، إنسان يُعمَّر في الإسلام وتشيب رأسه، وتشيب لحيته، ومع ذلك عمله سيئ، لا ترى منه إلا القبيح -عياذًا بالله- فهذا شر الناس.

شيخ الإسلام ابن عبد الوهاب عُمِّر طويلًا، حتى إنه عُمِّر ثنتين وتسعين عامًا -رحمه الله- وتوفي سنة ست ومائتين وألف من هجرة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ١٢٠٦ من هجرة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولكن بقي ذكره وبقيت دعوته، لأنها دعوة صالحة نافعة، وقد قال تعالى **﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً وَأَمَّا ما يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثالَ﴾**

إلى الآن نسمع عن دعوة الإمام أو الشيخ محمد بن عبد الوهاب، دعوة خالصة تدعو إلى ما كان عليه سلف الأمة، بقي ذكره -رحمه الله- وصدق أبو بكر بن عياش حين قال: "أهل السنة يموتون ويحيا ذكرهم، وأهل البدع يموتون ويموت ذكرهم".

لماذا يبقى ذكر أهل السنة؟ قال: لأنهم أحيوا ما جاء به الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فلهم نصيب من قوله تعالى: ﴿وَرَفَعنا لَكَ ذِكرَكَ﴾[الشرح: ٤]، في سورة الشرح التي نزلت في النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول الله -عَزَّ وَجَلَّ- فيها: ﴿وَرَفَعنا لَكَ ذِكرَكَ﴾[الشرح: ٤]، فكل من رفع سنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ودعا إليها له نصيب من هذه الآية، يرفع الله له ذكره بعد مماته، وفي حياته.

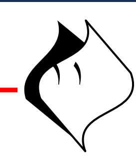
وأما أهل البدع فهم الذين شنئوا سنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأبغضوها، فلهم نصيب من قوله تعالى: ﴿إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الأَبتَرُ﴾[الكوثر: ٣].

فمع هذه الرسالة، وهي: **(نواقض الإسلام)**، لكن: ما معنى كلمة نواقض؟ نسمع "نواقض الإسلام"، "نواقض الوضوء". نواقض جمع ناقض، وهو اسم فاعل، من نقض الشيء إذا هدمه وأفسده، أقول: نقضت البناء يعني هدمت هذا البناء.

قال تعالى: ﴿وَلا تَكونوا كَالَّتي نَقَضَت غَزلَها﴾[النحل: ٩٢]، أي هدمت وأفسدت ما أبرمته، وهذه امرأة كانت في الجاهلية، كانت تغزل ثم قبل أن تنتهي من غزلها تنقض كل هذا الغزل، فالنقض بمعنى الهدم، قال تعالى: ﴿الَّذينَ يَنقُضونَ عَهدَ اللهِ مِن بَعدِ ميثاقِهِ﴾[البقرة: ٢٧].

ونقض الإسلام: فعل شيء يُفسد الإسلام ويُبطله، أن يفعل المرء شيئًا يُفسد إسلامه، فالإسلام له نواقض، وله نواقص.

- النواقض تُخرج المرء من الإسلام إلى الكفر،



- والنواقص لا تُخرج المرء من الإسلام إلى الكفر، ولكنها تقدح في إسلامه الواجب، وفي إيمانه الواجب، كسائر المعاصي والكبائر، فالإنسان الذي يزني أو يسرق هذا لا يخرج من الإسلام، ولا يكفر بمجرد الفعل وإن تكرر منه، ولكن إيمانه ناقص، إسلامه ناقص، أما الذي يسبُّ الدين مثلاً، أو الذي يُفضل شريعة على شريعة محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هذا جاء بناقض من نواقض الإسلام، يعني خرج من الإسلام، وهناك كذلك قوادح الإسلام.

إذًا عندنا نواقض: تُخرج من الإسلام إلى الكفر.

نواقص: تقدح في الإيمان الواجب.

قوادح: هذه منها ما هي كفر، ومنها ما هي نواقص.

هذا ما يتعلق بالنواقض فماذا عن الإسلام؟ أنا أقول: أنا مسلم، ديني الإسلام، ما معنى كلمة "الإسلام"؟ الإسلام يعني: الاستسلام والخضوع، هذا معنى كلمة "الإسلام" الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة والخلوص من الشرك وأهله، أبرأ إلى الله وأُنزه نفسي عن الشرك، وأبرأ من أهل الشرك كذلك.

لماذا سمى الشيخ رسالته بـ **(نواقض الإسلام)**؟ لماذا لم يُسمها مثلًا بـ أسباب الردة؟

الجواب: لأنه كان يراسل ويُجادل بعض علماء عصره، وبعض هؤلاء المجادلين من أهل عصره يقولون: إن المسلم لا يخرج من الإسلام إلى الكفر ولو فعل ما فعل، طالما أنه نطق بكلمة التوحيد، قال: لا إله إلا الله محمد رسول

الله، فلو سجد إلى قبر، أو طاف حول صنم، أو ذبح له، أو دعاه من دون الله، لا يخرج من الإسلام.

فكان الشيخ -رحمه الله- يقول لهم: أنتم تَدرسون وتُدرّسون الفقه، وأنتم أصحاب مذاهب، عندكم في مذاهبكم باب في الفقه يسمى بنواقض الوضوء، ما معنى نواقض الوضوء؟ يعني الأمور التي تنقض الوضوء، تهدم الوضوء.

لو أن إنسانًا أحدث، لو أن إنسانًا نزل منه المني، لو أن إنسانًا نام وكان متوضئًا، ما الذي يحدث لوضوئه؟ انتقض الوضوء، أليس كذلك؟ وعليه أن يعيد وضوءه، هل معنى أنه كان متوضئًا أن الوضوء يصير ملازمًا له أبدًا؟ أم أن هناك ما ينقضه؟ هناك ما ينقضه، وهذا الذي تُدرّسونه في كتبكم وتدرسونه، فكذلك الإسلام؛ ليس معنى أنك نطقت بهذه الكلمة "لا إله إلا الله محمد رسول الله" أنه لا يمكن أن تخرج من الإسلام إلى الكفر، هناك نواقض تُخرج المرء من الإسلام إلى الكفر.

فسمى هذه الرسالة بنواقض الإسلام، ثم ذكر عشرة نواقض، وهذه النواقض العشرة كما سنرى من الممكن أن نردها إلى أربعة نواقض:

- فهناك نواقض تتعلق بالقول، مجرد الكلمة يكفر بها الإنسان ولو لم يعتقد، لا يُنظَر إلى اعتقاده كالذي يستهزئ بالكتاب والسنة، بدين رب العالمين.

كان النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مع أصحابه في غزوة تبوك، فقال بعض المنافقين يستهزئون بالنبي وصحبه: ما رأينا أشبع بطونًا ولا أجبن عند اللقاء من هؤلاء، يقصدون أصحاب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يهزئون بهم ويستهزئون وهذا مجرد القول، فأنزل الله تعالى: ﴿قُل أَبِاللهِ وَآياتِهِ وَرَسولِهِ كُنتُم تَستَهزِئونَ * لا تَعتَذِروا قَد كَفَرتُم بَعدَ إيمانِكُم﴾[التوبة: ٦٥-٦٦].

إذًا الكفر قد يكون بماذا؟ بالقول فقط.

- وقد يكون بالاعتقاد فقط ولو لم ينطق، وإنما هو مجرد عمل القلب.

يعني لو أن إنسانًا اعتقد أن شريعةً خيرٌ من شريعة محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- اعتقد، ولو لم ينطق، هذا كافر ولو لم ينطق.

- كذلك قد يكون بالفعل المجرد دون أن ينطق، إنسان سجد أمام الصنم دون أن يُكرهه أحد، ذبح للصنم، دعا الصنم من دون الله، أو دعا وليـًا من أولياء الله الصالحين من دون الله، وذبح عنده، ونذر له، وسجد، وطاف حول قبره، هذا كفر مخرج من الملة لا يُنظَر فيه إلى الاعتقاد.

- أن الكفر قد يكون بالشك، يعني أقول لك: محمد رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنت مسلم، أقول لك: محمد رسول الله، يقول الأبعد: والله أنا شاكك، إن كان هو رسول الله أو غير رسول الله أنا شاكك، هذا كفر، هذا المصحف فيه كلام الله، يقول: أنا شاكك، ده كلام الله أو كلام غيره أنا شاكك، هذا الشك يُخرج المرء من الإسلام إلى الكفر، ومن هنا كان الفرق بين الشك في الخبريات مفارقـًا للشك في الطلبيات كالطهارة والصلاة.

فلو نظرنا في هذه النواقض العشرة نرى أنها عادت إلى هذه الأصول الأربعة.

وهذه النواقض معرفتها من الأهمية بمكان، لماذا؟ لأن الإنسان قد يقع فيها دون أن يدري، وحذيفة يقول: "كان الناس يسألون رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن الخير، وكنت أسأله عن الشر"، وهو صحابي جليل، لازم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ومع ذلك كان يسأله عن الشر، "مخافة أن يُدركني".

والشاعر يقول:

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه ... ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه

فالإنسان يعرف الشر، لا من أجل أن يعمل به، ولكن من أجل أن يتوقى ذلك، يعلم أنه لو قال هذه الكلمة بانت امرأته منه وصارت طالقًا، لو عرف إنه لو قال: أنتِ طالق، أن هذه الكلمة تعني فراق أهله، لو قال: الحقي بأهلك، أنتِ عليَّ حرام، هذه الألفاظ قد تحتمل الطلاق، يتعلم ذلك، ليس من أجل أن يقولها ، ولكن من أجل أن يجتنب هذه الأمور.

وقديمًا قالوا: كيف يتقِي من لا يدري ما يتقِي؟! ولذلك كان لا بد من تعلم هذه النواقض.

الناقض الأول: الشرك في عبادة الله

قال المصنف -رحمه الله-: (بسم الله الرحمن الرحيم).

بدأ هذه الرسالة الوجيزة المباركة بالبسملة، اقتداءً بكتاب الله؛ لأن القرآن يبدأ بالبسملة، واقتداءً بسنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقد كان النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يبدأ رسائله بالبسملة، "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم"، هكذا كان يبدأ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وفي صلح الحديبية قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لعلي بن أبي طالب: **«اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم».**

فِعْلُ النبيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأمرُه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على البدء بالبسملة، وكذلك فِعلُ الأئمة في تصانيفهم، فالأئمة إذا صنفوا مصنفاً بدأوه بـ بسم الله الرحمن الرحيم.

هناك فرق بين التسمية والبسملة: **فالبسملة** قولك بسم الله الرحمن الرحيم، وهو مصدر منحوت، أي مأخوذ من هذه الكلمات(بسم الله الرحمن الرحيم) هذه تكون في قراءة القرآن وفي كتابة الرسائل، إذاً البسملة تكون في موضعين، إذا أردت أن تقرأ القرآن تقول: بسم الله الرحمن الرحيم، وكذلك في بداية الرسائل.

وأما التسمية: فهي قولك: بسم الله، فقط، بسم الله، وهذه تكون قبل كل فعل، قبل الأكل تقول: بسم الله، قبل الشرب تقول: بسم الله، عند دخول البيت

تقول: بسم الله، عند النوم وكذلك عند إتيان الأهل لا تقل: بسم الله الرحمن الرحيم، إنما قل: بسم الله. هكذا فرَّق الشرع.

النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لما قال للغلام: «**يا غلام، سمِّ الله**»، أراد منه أن يقول: بسم الله، وأما بسم الله الرحمن الرحيم فهذه موضعها هذا الذي ذكرناه.

قال: (بسم الله الرحمن الرحيم).

بدأ بها تبركًا باسم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- محبة وتعظيمًا له.

قال: (اعلم أن نواقض الإسلام عشرة نواقض).

قال **اعلم** وأمرك لكي تنتبه، لكي تعلم أن هذا الأمر عظيم، واعلم هاهنا في معنى قول الله تعالى في القرآن: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾، كان ابن مسعود يقول: إذا سمعت الله تعالى يقول: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ فأرعها سمعك، أول ما تسمع ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ انتبه، فإما خير تُؤمَر به، أو شر تُنهى عنه، كذلك إذا سمعت "اعلم" فاعلم أن الأمر جد، وأن الأمر خطير، والله تعالى قالها لنبيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: ﴿**فَاعلَم أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**﴾[محمد: ١٩]، فأمره بالعلم، يعني ينبغي أن يكون عندك اليقين الجازم في هذه الأمور التي ستُذكَر.

قال: **(اعلم أن نواقض الإسلام عشرة نواقض)**، أي أن الأمور التي تهدم الإسلام والتي تُسمى بأسباب الردة في كتب الفقه عشرة.

هل هي عشرة فقط؟ لا، هي كثيرة جدًا، بعض العلماء أوصلها إلى أربعمائة ناقض من الممكن أن تُخرج المرء من الإسلام إلى الكفر، ولكن هذه

العشرة أعظمها، ويندرج تحتها غيرها، قلنا: إن أصول الردة وأصول الخروج من الإسلام أربعة، هو ضرب مثالًا أو مثالين على كل واحد من هذه الأصول، فقال: اعلم أن الأمور التي تُخرج المرء من الإسلام إلى الكفر عشرة نواقض.

إذًا لماذا ذكر هذا العدد عشرة؟ لأن هذه النواقض هي أعظم النواقض، ولماذا ذكرها في بداية الرسالة –أي ذكر العدد عشرة؟ لكي يسهل عليك الحفظ، وهذه طريقة النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ خمسٌ من الفطرة...﴾﴿ثلاثٌ من كنَّ فيه كان منافقًا خالصا....﴾﴿اجتنبوا السبع الموبقات.....﴾ فذكر الناقض الأول، الناقض الثاني، والثالث، الرابع، والخامس، والسادس وهكذا..، وكذلك حتى لا ينسى هو رحمه الله، لأنه لو لم يذكر هذا العدد في بداية رسالته ربما ذكر تسعة نواقض، أو سبعة نواقض، ولكنه لما قال: عشرة نواقض كان العدد أمامه، فيقول: بقي ناقض، بقي ناقضان.

ما هذه النواقض؟

قال –رحمه الله

الناقض الأول: (الشرك في عبادة الله).

وهذا أعظم النواقض، ولذلك بدأ به المصنف.

ما معنى الشرك؟ **الشرك**: هو جعل شيء من العبادة لغير الله، وهو مأخوذ من الضم، ضم شيء إلى شيء على وجه التشريك، فلا تكون العبادة لله وحده، ولكن تكون لغيره أو تكون له ومعه غيره –سبحانه وتعالى– كما كان المشركون الأُول يفعلون، كانوا يقولون في التلبية: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا

شريك لك لبيك، إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك، هكذا يقولون: لا شريك لك، ثم يقولون: إلا شريكًا هو لك، يقصدون الأصنام، فجعلوا العبادة لله ولغيره، فهذا الشرك.

فالشرك: جعل شيء من العبادة لغير الله، كالذي يذبح لغير الله، يذبح للجن، يذبح للأولياء الصالحين، لأصحاب القبور، للسحرة، هذا واقع في الناس، فهذا شرك، أو الذي يدعو غير الله، فهذا شرك، وهذا يُناقض التوحيد؛ لأن الله تعالى ما خلق العباد إلا من أجل عبادته، قال تعالى: ﴿وَما خَلَقتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلّا لِيَعبُدونِ﴾[الذاريات: ٥٦]، ما خلقك الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- إلا من أجل عبادته، وقال الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَاعبُدُوا اللهَ وَلا تُشرِكوا بِهِ شَيئًا﴾[النساء: ٣٦]، فلا يصح أن تعبد الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وأن تُشرك معه أحدًا غيره في نفس الوقت، لا تُقبَل العبادة ممن فعل ذلك.

ولذلك قال الله تعالى: «أنا أغنى الأغنياء عن الشرك، من عمل عملًا»، أي عمل ولو كان صغيرًا، إذ قوله عملاً نكرة في سياق الشرط فتعم ويدخل تحتها جميع أفراد الأعمال ولو قلَّت «من عمل عملًا أشرك فيه معي غيره تركته وشركه»، يرده الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عليه ولا يقبل منه شيئًا، فلذلك قال: ﴿وَقَدِمنا إِلى ما عَمِلوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلناهُ هَباءً مَنثورًا﴾[الفرقان: ٢٣]، ولو كانت أعمالاً جليلة، ولكن دخلها الشرك، تُرَد على صاحبها.

ولذلك العبادة لا بد أن يتوفر فيها شرطان، حتى يقبلها الله تعالى:

الشرط الأول: الإخلاص، أن أبتغي بهذه العبادة وجه الله، لا أبتغي رياءً ولا سمعةً، لا أريد من الناس أن يتحدثوا: محمد يُصلي، محمد يُزكي، محمد يحج، محمد يفعل كذا، لا، بل أبتغي وجه الله، ﴿فَمَن كانَ يَرجو لِقاءَ رَبِّهِ فَليَعمَل عَمَلًا صالِحًا وَلا يُشرِك بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[الكهف: ١١٠].

والشرط الثاني: المتابعة، ما معنى المتابعة؟ أي أن تكون هذه العبادة على ما جاء به النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– نفس الصورة التي فعلها النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أفعلها كذلك، لا أزيد ولا أنقص؛ فالنبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كان يصلي على هيئة معينة وأنا كذلك أصلي كما كان يصلي، يذكر الله على هيئة معينة فأنا أذكر الله كما كان يذكر، ومن هنا تعلم أن من يقول: يا لطيف، يا لطيف، يا لطيف، يا لطيف مائة مرة أو ألف مرة هكذا مجردة من الدعاء كما يفعل الصوفية، هذا بدعة، لماذا؟ ما فعله النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– هل فعله الصحابة؟ ما فعله الصحابة، ولو قلت: يا بدوي، يا بدوي، يا بدوي، اشفِ يا بدوي، هذا شرك.

إذًا العبادة حتى تُقبَل لا بد فيها من الإخلاص، ومن المتابعة، فأول ما يهدم الإسلام الشرك في عبادة الله.

ما معنى العبادة؟ العبادة مأخوذة من لفظ "عبَّد"، العين والباء والدال، يُقال: طريق مُعبَّد، أي طريق مُمهد، مُذلل، تستطيع أن تمشي فيه بسهولة ويسر، ويقال: بعير مُعبَّد، هذه الدابة مُعبَّدة، الحمار هذا مُعبَّد، أي مُذلل خاضع لك، فالعبادة مأخوذة من التعبد، يعني التذلل والخضوع.

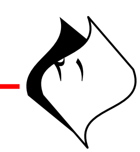
هذا بالنسبة للغة، أمَّا المعنى الشرعي فالعبادة باعتبار الفاعل هي غاية الحب مع غاية الذل، أي عبادة أفعالها لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لا بد أن يُلازمها الحب والخضوع، وليس أي حب، غاية الحب مع غاية الذل، هذه هي العبادة الكاملة.

أمَّا باعتبار أفرادها، كالصوم والصلاة والحج والذكر وإماطة الأذى عبادة، وصلة الأرحام ، وبر الوالدين ، أمور كثيرة جدًا، فهي باعتبار أفرادها: اسم جامع لكل ما يحب الله ويرضاه من الأقوال، والأفعال، الظاهرة والباطنة، كأعمال القلوب عبادة لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وأعمال اللسان عبادة، أعمال الجوارح عبادة، طالما أن الله يحبها ويرضاها فهي عبادة.

فالعبادة كما قلنا لا تكون عبادة صحيحة مقبولة إلا بشرطين: **الإخلاص، والمتابعة.**

بعض الناس إذا سمع كلمة "الشرك" ينصرف ذهنه إلى عبادة الأصنام فقط، يقفز لذهنه أبو جهل، وأبولهب، وعبادة الأصنام، اللات والعزى ومناة وهبل، ليس هذا هو الشرك فقط، عندما يسمع كلمة الشرك ينصرف ذهنه إلى عبادة الأصنام، نقول: هذه صورة من صور الشرك، هناك صور كثيرة، موجودة في عصرنا الحالي، ومنها عبادة الأولياء والصالحين، عبادة القبور وقد حذَّر منها النبي صلى الله عليه وسلم قبل موته.

أنت لو نظرت في هذه الموالد، مولد الحسين، والبدوي، والسيدة، وغير ذلك من الموالد، تجد الملايين من الناس تذهب لهذا المولد، من أجل ماذا؟



من أجل التماس البركة، من أجل التقرب لصاحب المولد، يذهب لكي تقضى حاجته عند قبر ذلك المقبور؛ فبعض الناس عنده اعتقاد إنه لو لم يذهب لمثل هذه الموالد لابد أن يصيبه ضرر أو يقع لولده، أو في ماله، أو بيته، هذا شرك لأنه من خوف السر وليس الخوف الجبلي الذي لا يؤاخذ به العبد، فهذا نوع من الشرك كما ترى وليس فيه عبادة للأصنام، ولكن عبادة للأولياء والصالحين.

نحن – أهل السنة الموحدون- نحب الأولياء والصالحين من آل بيت النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ومن غير آل البيت، ولكنْ ما لله ما ينبغي أن يُصرَف إلا لله، ما لله من ذبح ونذر ودعاء وغير ذلك ما ينبغي أن يُصرَف إلا لله، ولو سألت هؤلاء الصالحين المقبورين يوم القيامة عما يفعله هؤلاء لتبرأوا منهم، كما تتبرأ الملائكة من عابديهم ﴿وَيَومَ يَحشُرُهُم جَميعًا ثُمَّ يَقولُ لِلمَلائِكَةِ أَهؤُلاءِ إِيّاكُم كانوا يَعبُدونَ﴾[سبأ: ٤٠]، هناك من يعبد الملائكة وقد لا يسميها عبادة لكن هي في حقيقتها عبادة ﴿قالوا سُبحانَكَ أَنتَ وَلِيُّنا مِن دونِهِم بَل كانوا يَعبُدونَ الجِنَّ أَكثَرُهُم بِهِم مُؤمِنونَ﴾[سبأ: ٤١]، يتبرأون منهم، عيسى عليه الصلاة والسلام يُعبَد من دون الله، فيتبرأ يوم القيامة من عابديه﴿ وَإِذْ قالَ اللهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قالَ سُبْحانَكَ ما يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ ما لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ﴾ المائدة: ٦١، إذًا هذا نوع من العبادة، من الناس من يعبد الشمس والقمر، قال تعالى: ﴿وَمِن آياتِهِ

﴿اللَّيلُ وَالنَّهارُ وَالشَّمسُ وَالقَمَرُ لَا تَسجُدوا لِلشَّمسِ وَلا لِلقَمَرِ﴾، إذًا هناك من يسجد للشمس والقمر، **﴿وَاسجُدوا لِلَّهِ الَّذي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُم إِيّاهُ تَعبُدونَ﴾**[فصلت: ٣٧]، من الناس من يعبد الأشجار والأحجار، صحيح؟

﴿أَفَرَأَيتُمُ اللّاتَ وَالعُزّى ۞ وَمَناةَ الثّالِثَةَ الأُخرى﴾[النجم: ١٩-٢٠]، أحد هذه الأصنام كانت شجرة تُعبَد من دون الله، فالشرك ليس مقصورًا على عبادة الأصنام.

وليس الشرك الذي بُعِث الأنبياء والرسل لدعوة الخلق لنبذه هو اعتقاد خالق ومدبر ورازق غير الله؛ فالمُشركون الذين حاربهم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ودعاهم ما كانوا يعتقدون أن الخالق المدبر الرازق إله غير الله، بل كانوا يعتقدون أن الذي يفعل ذلك هو الله، **﴿وَلَئِن سَأَلتَهُم مَن خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرضَ وَسَخَّرَ الشَّمسَ وَالقَمَرَ لَيَقولُنَّ اللَّهُ﴾**[العنكبوت: ٦١]، **﴿قُل مَن يَرزُقُكُم مِنَ السَّماءِ وَالأَرضِ أَمَّن يَملِكُ السَّمعَ وَالأَبصارَ وَمَن يُخرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمرَ فَسَيَقولونَ اللَّهُ فَقُل أَفَلا تَتَّقونَ﴾**[يونس: ٣١]، هم يعترفون ويقرون أن الذي يفعل ذلك هو الله، إذًا المشركون ما كانوا يشركون في ذلك، إنما يشركون في ماذا؟ في صرف العبادة لغير الله، يدعون غير الله، ويصلون، ويطوفون، وينذرون، هذا هو الشرك الذي يقع فيه أكثر الناس .

وليس الشرك كذلك في التشريع فقط، يعني الذي يُشرّع تشريعًا يخالف دين الله، يُشرّع من دون الله، **﴿أَم لَهُم شُرَكاءُ شَرَعوا لَهُم مِنَ الدّينِ ما لَم يَأذَن بِهِ**

الله﴾[الشورى: ٢١]، فهذا شرك، وهو فرد من أفراد الشرك، إذًا الشرك أفراده كثيرة.

والشرك نوعان:

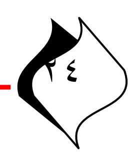
- شرك أكبر.
- وشرك أصغر.

الشرك الأكبر: هو جعل شيء لله لغير الله، يقدح في أصل الإيمان كهذه الأمور التي ذكرناها، الذبح، والنذر، والطواف، فهذه كلها لله، خالصة له سبحانه ﴿قُل إِنَّ صَلاتي وَنُسُكي وَمَحيايَ وَمَماتي لِلَّهِ رَبِّ العالَمينَ * لا شَريكَ لَهُ وَبِذلِكَ أُمِرتُ وَأَنا أَوَّلُ المُسلِمينَ﴾[الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

عاقبة الذي يقع في هذا الشرك، ذكرها الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغفِرُ أَن يُشرَكَ بِهِ وَيَغفِرُ ما دونَ ذلِكَ لِمَن يَشاءُ﴾[النساء: ٤٨]، وقال: ﴿إِنَّهُ مَن يُشرِك بِاللهِ فَقَد حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ الجَنَّةَ وَمَأواهُ النّارُ وَما لِلظّالِمينَ مِن أَنصارٍ﴾[المائدة: ٧٢].

إذًا الذي يُشرك الشرك الأكبر لا يُغفر له ذنبه، لو مات على ذلك لا يغفر الله له ذنبه، ويدخل النار دخولاً أبديًا خالداً مخلداً فيها.

وكذلك عمله حابط والجنة عليه حرام ، ﴿وَلَقَد أوحِيَ إِلَيكَ وَإِلَى الَّذينَ مِن قَبلِكَ لَئِن أَشرَكتَ لَيَحبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكونَنَّ مِنَ الخاسِرينَ﴾[الزمر: ٦٥]، هب أن إنسانًا ظل ثمانين عامًا يحج ويصوم ويزكي ويفعل الصالحات، ثم بعد ذلك في آخر عام ذبح لولي من الأولياء، أراد الولد فذهب إلى قبر ولي من



الأولياء، وأخذ شاة وذبحها له، من أجل التماس هذا الغرض عنده، هذا خرج من الإسلام إلى الكفر، ماذا عن الثمانين عاماً التي عبد فيها الله -عَزَّ وَجَلَّ-؟ ﴿وَقَدِمنا إِلى ما عَمِلوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلناهُ هَباءً مَنثورًا﴾[الفرقان: ٢٣]، إذاً يحبط عمله.

فالشرك في العبادة كالحدث في الصلاة، أنا صليت الظهر، صليت الركعة الأولى، والثانية، والثالثة، والرابعة، وأنا في التشهد أحدثت، هل أذهب أتوضأ وأعود للتشهد وأقول: السلام عليكم، السلام عليكم؟ أم لا يصح ذلك ولابد أن أُعيد الصلاة من أولها؟ حبطت الصلاة، وفسدت من أولها، كذلك الشرك الأكبر، يُحبط سائر الأعمال.

أما الشرك الأصغر فهو: جعل شيء لله لغير الله، ولكنه يقدح في تمام الإيمان وكمال الإيمان الواجب، يعني صاحبه لا يخرج من الإسلام إلى الكفر، ولكنه ناقص الإيمان، شرك أصغر، وهذا في شرك الألفاظ كما هو دارج على ألسنة الناس، يقولون: والنبي لتعمل كذا، والكعبة لتعمل كذا، ورحمة فلان، هذا شرك، وإياك أن تستهين به، هذا شرك لا يُغفَر، الأمر ليس بالهين، لا يجوز الحلف إلا بالله، أو باسم من أسمائه، ماذا لو نسيت؟ قل: لا إله إلا الله، هذه هي الكفارة.

بعض العلماء قال: هذا الشرك لا يُغفَر، ولا يدخل صاحبه تحت المشيئة، بل لا بد من أن يُعذَّب؛ لأن الله قال: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغفِرُ أَن يُشرَكَ بِهِ﴾،

يعني لا يغفر إشراكًا به، فالمصدر المؤول نكرة في سياق النفي فيعم كل شركٍ سواء كان شركًا أصغر أو أكبر، فهذا مما يجعل المرء يخاف.

قد يكون الشرك الأصغر شركًا في الألفاظ، كقول القائل: لولا البط لسرق اللص البيت، هذا شرك لفظي، لأن الحافظ هو الله، ما هذه إلا أسباب وقد تتخلَّف أو يتخلف الاثر المترتب عليها.

ولذلك لما سمع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الصحابة يقولون: مُطرنا بنوء كذا، فقال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**أتدرون ماذا يقول ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: يقول: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر**»، من الكافر؟ الذي يقول: مُطرنا بفضل نوء كذا، وليس بفضل الله، فهذا هو النوع الثاني من الشرك.

ثم ختم هذا الناقض بآيتين عظيمتين:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ لا يَغفِرُ أَن يُشرَكَ بِهِ وَيَغفِرُ ما دونَ ذلِكَ لِمَن يَشاءُ**﴾.

والآية الثانية: قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ مَن يُشرِك بِاللهِ فَقَد حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ الجَنَّةَ وَمَأواهُ النّارُ وَما لِلظّالِمينَ مِن أَنصارٍ**﴾[المائدة: ٧٢].

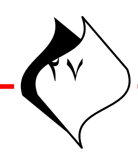
عندنا آيتان، **الآية الأولى**: قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ لا يَغفِرُ أَن يُشرَكَ بِهِ وَيَغفِرُ ما دونَ ذلِكَ لِمَن يَشاءُ**﴾، الآية صريحة في عدم الغفران، تقول: ﴿**إِنَّ اللهَ لا يَغفِرُ أَن يُشرَكَ بِهِ**﴾، وآية أخرى يقول الله فيها في سورة الزمر: ﴿**قُل يا عِبادِيَ الَّذينَ أَسرَفوا عَلى أَنفُسِهِم لا تَقنَطوا مِن رَحمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغفِرُ الذُّنوبَ جَميعًا إِنَّهُ هُوَ**

﴿الغَفورُ الرَّحيمُ﴾[الزمر: ٥٣]، هذه الآية يقول: ﴿إِنَّ اللهَ يَغفِرُ الذُّنوبَ جَميعًا﴾، وفي هذه الآية يقول: ﴿لَا يَغفِرُ أَن يُشرَكَ بِهِ﴾، والشرك من جملة الذنوب، ليس هناك تعارض بين الآيتين، يغفر الذنوب جميعًا لمن تاب منها في الدنيا، حتى لو أشرك الإنسان وتاب تاب الله عليه، الصحابة كانوا في الجاهلية مشركين، وأسلموا وتاب الله عليهم، صحيح؟ كانوا يعبدون الأصنام، فهذا هو معنى الآية، ﴿إِنَّ اللهَ يَغفِرُ الذُّنوبَ جَميعًا﴾ أي: لمن تاب في الدنيا.

﴿إِنَّ اللهَ لا يَغفِرُ أَن يُشرَكَ بِهِ﴾، لمن مات على الشرك، لا يُغفَر شركه يوم القيامة، قال: ﴿وَيَغفِرُ ما دونَ ذلِكَ لِمَن يَشاءُ﴾، أي ما دون الشرك، أي معصية بخلاف الشرك، صاحبها يوم القيامة تحت مشيئة الله، إما أن يغفر له، أو يعذبه على قدر ذنبه، ولكن لا بد أن يدخل الجنة يومًا ما، أما لو أشرك ومات بلا توبة فالجنة عليه حرام.

ولذلك قال في الآية الأخرى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشرِك بِاللهِ فَقَد حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ الجَنَّةَ وَمَأواهُ النّارُ وَما لِلظّالِمينَ مِن أَنصارٍ﴾[المائدة: ٧٢]، فالآية الأولى والثانية تبين لنا قبح الشرك وعاقبته الوخيمة.

عائشة رضي الله عنها لمَّا سألت النبي ﷺ عن عبد الله بن جُدعان، و كان يقوم بالأعمال العظيمة في الجاهلية؛ فكان يقري الضيف، ويحمل الكَل، ويعين على نوائب الدهر، وكان كريمًا جوادًا، يُضرب به المَثل في الجُود والكرم.



سألت عائشة النبي رضي الله عنها: يا رسول الله هل نفعه ذلك؟ هل هذه الأمور نفعت عبد الله بن جُدعان؟ قال: «لا؛ إنه لم يقل يومًا: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين» أي ما كان موحدًا، وإنما كان مشركًا.

فهذا يبين لنا أهمية إخلاص العبادة لله تبارك وتعالى، وخطورة الشرك في عبادته سبحانه.

الناقض الثاني: اتخاذ الوسائط

قال الإمام المجدد رحمه الله: (والثاني: مَن جَعل بينه وبين الله وسائطَ، يدعوهم، ويسألهم، ويتوكل عليهم، كفر إجماعًا).

الناقض الثاني من نواقض الإسلام: من جعل بينه وبين الله وسائط، يدعوهم، ويسألهم، ويتوكل عليهم، قال: كفر إجماعًا.

وهذا النوع من أنواع النواقض هو فرع من الناقض الأول؛ لأن الناقض الأول: من أشرك مع الله في عبادته، كذلك الذي يتخذ الوسائط، يدعوها، ويتوكل عليها، ويسألها من دون الله، هذا أشرك في عبادة الله، فهو فرع عن النوع الأول.

ولكن لماذا خصه المصنف- رحمه الله- بالذكر فجعله الناقض الثاني؟ قال العلماء: وإنما أفرده بذلك لكثرة وقوعه بين الناس، فكثير من الناس يجعلون ويتخذون وسائط بينهم وبين الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-.

الذي ينظر في سبب شرك الأولين والآخرين يرى أنه لا يخرج عن أربعة أسباب:

أما الأولون: فإنهم وقعوا في الشرك بالله لسببين ذكرهما الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- في كتابه:

السبب الأول: هو طلب القربة، كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذينَ اتَّخَذوا مِن دونِهِ أَولِياءَ ما نَعبُدُهُم إِلّا لِيُقَرِّبونا إِلَى اللهِ زُلفى﴾[الزمر: ٣] فكانوا يتخذون هذه الوسائط من أجل أن تُقرّبهم من الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يقولون: الله عظيم، ولا

يصح أن ندعوه هكذا، ولكن لا بد من واسطة بيننا وبين الله، أو يقولون: نحن أصحاب ذنوب، وهؤلاء صالحون أطهار نتقرب بهم إلى الله، فهذا أول سبب من أسباب الشرك، وهو طلب القربة، كما قال الله -عَزَّ وَجَلَّ- في هذه الآية.

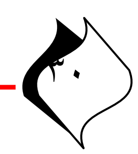
السبب الثاني الذي ذكره الله -عَزَّ وَجَلَّ- عن شرك الأولين: وهو الشفاعة، أنهم كانوا يستشفعون بهؤلاء عند الله، قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: **﴿وَيَعبُدونَ مِن دونِ اللهِ ما لا يَضُرُّهُم وَلا يَنفَعُهُم وَيَقولونَ هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِندَ اللهِ﴾**، قال تعالى ردًّا لقولهم واعتقادهم: **﴿قُل أَتُنَبِّئونَ اللهَ بِما لا يَعلَمُ فِي السَّماواتِ وَلا فِي الأَرضِ سُبحانَهُ وَتَعالى عَمّا يُشرِكونَ﴾**[يونس: ١٨].

إذًا هذا هو السبب الثاني، فالمشركون الأولون كانوا يُشركون لهذين السببين: القربة، والشفاعة.

وأما المتأخرون في أزماننا: فكذلك وقعوا في الشرك لسببين غير هذين السببين.

- **السبب الأول:** هو الجهل بمعنى "لا إله إلا الله"، فكثير ممن وقع في الشرك في هذه الأزمان لا يعلم معنى "لا إله إلا الله" كما سيأتي.
- **والسبب الثاني:** وهو الجهل بمعنى العبادة.

فهذه الأسباب الأربعة هي أسباب الشرك عند الأولين والآخرين، عند المشركين الذين جاءهم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وكذلك عند مشركي زماننا.



السبب الأول: طلب القربة، لماذا عبد المشركون أصنامهم، وعبدوا الملائكة، والصالحين؟ لطلب القربة، كما ذكرنا الآية، قال تعالى: ﴿وَالَّذينَ اتَّخَذوا مِن دونِهِ أَولِياءَ ما نَعبُدُهُم إِلّا لِيُقَرِّبونا إِلَى اللهِ زُلفى إِنَّ اللهَ يَحكُمُ بَينَهُم في ما هُم فيهِ يَختَلِفونَ إِنَّ اللهَ لا يَهدي مَن هُوَ كاذِبٌ كَفّارٌ﴾[الزمر: ٣].

فهؤلاء يقولون: ما نعبدهم من أجل أنهم يضرون، أو من أجل أنهم ينفعون، أو من أجل أنهم يرزقون، أو يُحيون الموتى، لا، ما نعبدهم من أجل ذلك، وإنما نعبدهم من أجل القربى.

وهذا يسميه العلماء بحصر القلب، ما معنى حصر القلب؟ كأن الذي كلمهم ظنوا من كلامه أنه يقول لهم: أنتم تعبدونهم من أجل الإحياء والإماتة والنفع والضر وغير ذلك، فقالوا: ما نعبدهم من أجل ذلك، وإنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى.

لماذا اتخذوا هذه الوسائط؟

لو سألت الواحد من هؤلاء لقال لك: لا بد من وسائط بيننا وبين الله، يقال لهم: ماذا تقصدون بالوسائط؟ هل تقصدون الواسطة التي تُبلغكم الوحي عن الله، كالرسل والملائكة؟ إن قصدتم ذلك فهذا صحيح، فهذه واسطة مشروعة، فالواحد منا لا ينزل عليه الوحي، وإنما الوحي ينزل به الملك على الرسول، والرسول واسطة بيننا وبين الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- في تبليغه وبيانه.

هل تقصدون الواسطة التي تتوسلون بها إلى الله؟ فتقولون: بحق جاه النبي اقبل صلاتنا، بحق جاه النبي ارزقنا، بحق جاه الحسين أو البدوي افعل

كذا أو كذا، إن قصدوا ذلك فهذه بدعة، التوسل بالأولياء والصالحين بجاههم هذه بدعة، لم تأتِ لا في كتاب الله ولا في سنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إذًا هذا توسط بدعي.

هل تقصدون بالواسطة التي تُصرَف لها العبادة من دون الله، فيُذبَح عندها، ويُنذَر لها، وتُدعَى من دون الله؟ إن قصدوا هذه الواسطة -وهذه هي المقصودة- فهذه واسطة شركية، فالواسطة منها:

- ما هو شرعي،

-ومنها ما هو بدعي،

- ومنها ما هو شركي، وهم يقصدون الثانية أو الثالثة.

فيقال لهم: لماذا تقصدون هذه الواسطة والله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- قال في كتابه في دعائه وعبادته خاصةً: ﴿وَإِذا سَأَلَكَ عِبادي عَنّي فَإِنّي قَريبٌ﴾[البقرة: ١٨٦]؟

كل ما سُئل عنه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال الله فيه: ﴿قُل﴾، ﴿وَيَسأَلونَكَ عَنِ الجِبالِ فَقُل يَنسِفُها رَبّي نَسفًا﴾[طه: ١٠٥]، ﴿يَسأَلونَكَ عَنِ الشَّهرِ الحَرامِ قِتالٍ فيهِ قُل قِتالٌ فيهِ﴾[البقرة: ٢١٧]، ﴿يَسأَلونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُل هِيَ مَواقيتُ لِلنّاسِ وَالحَجِّ﴾[البقرة: ١٨٩]، ﴿وَيَسأَلونَكَ عَنِ المَحيضِ قُل هُوَ أَذًى﴾[البقرة: ٢٢٢]، أمَّا قوله ﴿وَإِذا سَأَلَكَ عِبادي عَنِّي﴾ ما قال: قل: فإني قريب، وإنما قال: ﴿فَإِنّي قَريبٌ﴾.

إذًا العبادة ليس فيها واسطة بين العبد وبين ربه، يقولون: لا، ولكننا نحتاج لهذه الواسطة، فيقال لهم:لماذا تحتاجون لهذه الواسطة؟ يقولون: الله – تَبَارَكَ وَتَعَالَى– هو الذي أمرنا باتخاذ الواسطة!! يقال لهم: أين أمر الله تعالى في كتابه باتخاذ الواسطة؟ يقولون: ألم يقل الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَى–: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابتَغوا إِلَيهِ الوَسيلَةَ وَجاهِدوا في سَبيلِهِ لَعَلَّكُم تُفلِحونَ﴾[المائدة: ٣٥]، يقولون: الوسيلة ههنا هي الواسطة، نقول لهم: أخطأتم، الوسيلة ليست الواسطة، ولكن الوسيلة المقصود بها: العبادة، والطاعة أي: تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه كما جاء في كلام المفسرين، فالوسيلة يُقصَد بها العبادة والطاعة.

- **يقولون**: الله عظيم، ولا يُتوَصَل إليه إلا عن طريق هؤلاء، وأنت إذا أردت أن تدخل على عظيم، على ملك، أو على وزير، أو على رئيس وزراء، أو حتى على مدير شركة، لا تستطيع أن تدخل هكذا بمفردك، ولكن لا بد أن تأتي بالواسطة ليكون واسطة بينك وبينه، وهذا لا شك أنه خطأ عظيم، لماذا؟ لأنهم قاسوا الخالق على المخلوق، لما ظنوا أنه لا يمكن لك أن تدخل على هذا المُعظَّم من المخلوقين إلا بواسطة ظنوا أن ذلك كذلك في جانب الله، والأمر ليس كذلك، فلا واسطة بينك وبين الله، الله –عَزَّ وَجَلَّ– قال: ﴿وَإِذا سَأَلَكَ عِبادي عَنّي فَإِنّي قَريبٌ﴾، وقال في الدعاء: ﴿وَاسجُد وَاقتَرِب﴾[العلق: ١٩]، وقال النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «أقرب ما يكون العبد من ربه» هل قال: عند الأولياء؟ عند قبور الصالحين؟ عند الموتى؟ لا، قال: «وهو ساجد»، الله

عظيم، نعم هو عظيم، ولكن العظيم لا يحتاج إلى واسطة بينه وبين خلقه -سبحانه وتعالى-.

▪ **يقولون**: ولكننا مُذنبون، وهذه سمعتها كثيرًا من بعض هؤلاء، وهم قوم أطهار، فنتوسل بهم إلى العزيز الغفار -سبحانه وتعالى- نتخذهم واسطة بيننا وبين الله -سبحانه وتعالى- يقال كذلك: هذا ليس بصحيح؛ لأن صلاحهم لأنفسهم، وفسادهم عليهم، والله تعالى يقول في كتابه: ﴿يَومَ لا تَملِكُ نَفسٌ لِنَفسٍ شَيئًا وَالأَمرُ يَومَئِذٍ لِلَّهِ﴾[الانفطار: ١٩]، وقال: ﴿يَومَ يَفِرُّ المَرءُ مِن أَخيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبيهِ * وَصاحِبَتِهِ وَبَنيهِ﴾[عبس: ٣٤-٣٦] فلا يملك أحد لأحد شيئًا، فإن كان صالحًا فلنفسه، وإن كان فاسدًا فكذلك لنفسه، ﴿كُلُّ نَفسٍ بِما كَسَبَت رَهينَةٌ﴾[المدثر: ٣٨]، أتقرب إلى الله بحب الصالحين، أما أن أتخذهم واسطة بيني وبين الله فهذا هو الممنوع وهذا هو الشرك.

▪ **يقولون**: ولكن جاء في السنة ما يدل على جواز اتخاذ الواسطة بينك وبين الله، فيقال لهم: أين؟ يقولون: ألم يتوسل أصحاب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالعباس بن عبد المطلب؟ لما أصابهم القحط في زمن عمر، توسلوا بالعباس.

فيقال لهم: وكيف توسلوا؟ هل قالوا: اللهم إنا نتوسل إليك بجاه العباس؟ هل تمسحوا بجسد العباس؟ ما فعلوا ذلك، ولكن قال عمر -رضي الله عنه- للعباس: "قم فادعُ"، فقام العباس فدعا وأمَّنوا خلفه، إذًا هم توسلوا بدعاء الصالحين.

ولذلك لا بأس أن أطلب من رجل صالح أن يدعو لي، حتى ينال هو الأجر وأنال أنا كذلك الإجابة إن استجاب الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أما أن أتوسل بذاته وبجاهه فهذا لا يجوز.

ولو كان ذلك جائزًا فأيهما أفضل: العباس أم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ لا شك أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أفضل من العباس، فلماذا لم يذهب الصحابة إلى قبر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ليتوسلوا بجسده الشريف وبقبره ؟ كانوا قريبين من قبر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وكانوا بالمدينة، ومع ذلك تركوا التوسل بقبره وتوسلوا بدعاء الصالحين.

إذًا يجوز لك أن تطلب من رجل صالح أن يدعو لك، أو أن تدعو أنت ربك بأسمائه وصفاته، أو بعملٍ صالح من أعمالك الصالحة، وكلُّ ذلك ثابت في الشرع مأذونٌ لك فيه.

إذًا أول أمر وقعوا فيه: هو اتخاذ الواسطة من أجل القربة.

والسبب الثاني: من أجل الشفاعة، يتخذون هؤلاء شفعاء عند الله.

ما الشفاعة؟ الشفع: ضد الوتر.

وأما في الاصطلاح: فهي التوسط عند الغير لجلب خير أو دفع ضير، كأن يتوسط عند فلان لفلان لكي يجلب له وظيفة، أو لكي يدفع عنه الأذى، فهذه هي الشفاعة.

والشفاعة منها ما هو حق، ومنها ما هو باطل.

الشفاعة الباطلة: هي ما يدّعيه المشركون من شفاعة آلهتهم لهم عند الله عز وجل، ولذلك قال تعالى: ﴿وَيَعبُدونَ﴾، وسمى الله هذه الشفاعة المنفية غير الجائزة عبادة، قال: ﴿وَيَعبُدونَ مِن دونِ اللهِ ما لا يَضُرُّهُم وَلا يَنفَعُهُم﴾، ما سبب عبادتهم؟﴿وَيَقولونَ هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِندَ اللهِ﴾، نستشفع بهم عند الله، لماذا؟ لجاههم، لصلاحهم، لذنوبنا، لأنه عظيم، ولا يحق لنا أن ندخل عليه هكذا، إلى غير ذلك من الأسباب التي ذكرناها.

ومن الشفاعة المنفية كذلك ما سمعناه في قراءة العشاء، قال الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا أَنفِقوا مِمّا رَزَقناكُم مِن قَبلِ أَن يَأتِيَ يَومٌ لا بَيعٌ فيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفاعَةٌ وَالكافِرونَ هُمُ الظّالِمونَ﴾[البقرة: ٢٥٤]، أي أنه ليس للكافرين شفاعة يوم القيامة، كما قال تعالى ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ وهذا النفي هو ما استدل به المعتزلة وأذنابهم على نفي الشفاعة في أصحاب الكبائر من المؤمنين، والآية غير واردة فيهم فتنبه.

وهناك شفاعة مُثبتة، وهي ما ذكرها الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- في كتابه، قال: ﴿مَن ذَا الَّذي يَشفَعُ عِندَهُ إِلّا بِإِذنِهِ﴾[البقرة: ٢٥٥]، وقال: ﴿وَكَم مِن مَلَكٍ فِي السَّماواتِ لا تُغني شَفاعَتُهُم شَيئًا إِلّا مِن بَعدِ أَن يَأذَنَ اللهُ لِمَن يَشاءُ وَيَرضى﴾[النجم: ٢٦]، فأثبت شفاعةً لكنْ بشروطها المعتبرة.

يأتي الناس يوم القيامة في هذا الموقف العظيم يقفون في عرصات القيامة، ويذهبون إلى الأنبياء، إلى أولى العزم، حتى يصلوا إلى نبينا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ- فيشفع عند ربه في بدء الحساب، وهذا هو المقام المحمود، ﴿عَسَى أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾[الإسراء: ٧٩]، فيبدأ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- الحساب، وهذه الشفاعة العظمى وهذه لا خلاف في ثبوتها بين أهل القبلة، ثم يدخل أقوام من عصاة المسلمين النار بسبب الكبائر، فيشفع الأنبياء، ويشفع المؤمنون، وتشفع الملائكة، يشفعون أي يطلبون دفع الضر عن هؤلاء، ويطلبون خروجهم من النار.

هذه الشفاعة لا بد فيها من شروط:

أول شرط فيها: أن يرضى الله عن الشافع والمشفوع، أولًا: الشفاعة لا تكون إلا لموحد، يعني لو أن إنسانًا مات على الشرك، هل تُقبَل الشفاعة فيه يوم القيامة لكي يخرج من النار؟ لا تُقبَل، ولذلك لمَّا يشفع إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- في أبيه آزر يوم القيامة لا يقبل الله شفاعته، وهو الخليل -عليه الصلاة والسلام- ومع ذلك لا يقبل الله شفاعته؛ لأنه شفع في كافر، وهو أبوه، والحديث في الصحيح عن أبي هريرة مرفوعا:" **يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له إبراهيم ألم أقل لك لا تعصني فيقول أبوه فاليوم لا أعصيك فيقول إبراهيم يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون فأي خزي أخزى من أبي الأبعد فيقول الله تعالى إني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال يا إبراهيم ما تحت رجليك فينظر فإذا هو بذيخ ملتطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار**" رواه البخاري

إذًا لا بد في الشفاعة: أن يرضى الله عن الشافع وعن المشفوع فيه.

الشرط الثاني: لا بد أن يأذن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- في هذه الشفاعة، وهذا الفرق بين الشفاعة عند المخلوق وعند الخالق؛ لأن الشفاعة عند المخلوق قد تكون أحيانًا دون رضى المشفوع عنده.

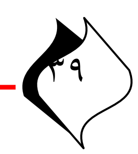
قد يكون هناك رجل عنده ولد له عزيز عليه، وهذا الراجل صاحب شركة، وهناك من يريد أن يتوظف عند صاحب هذه الشركة وهو لا يريد من هذا الرجل أن يعمل عنده، ماذا يصنع هذا الرجل؟ يعلم أن ولده له المكانة العظيمة عنده ولا يرفض له طلبًا، فيذهب إلى ولده، ويأتي به، ويدخل بالولد على أبيه، فيقول الولد: يا أبي، أنا جئت شفيعًا في هذا لكي يعمل عندك في الشركة، فلا يستطيع الوالد أن يرد طلب ولده، صحيح؟ مع أنه ما قبِل ذلك وما رضي به، فهذا لا يكون في حق الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ﴿مَن ذَا الَّذي يَشفَعُ عِندَهُ إِلّا بِإِذنِهِ﴾[البقرة: ٢٥٥]، يعني لا بد أن يأذن الله للشافع في الشفاعة في المشفوع فيه.

فكان هؤلاء يعبدون الأصنام وهذه الآلهة الباطلة استشفاعًا بها عند الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فسمى الله ذلك شركًا، قال الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿قُل أَتُنَبِّئونَ اللَّهَ بِما لا يَعلَمُ فِي السَّماواتِ وَلا فِي الأَرضِ سُبحانَهُ وَتَعالى عَمّا يُشرِكونَ﴾[يونس: ١٨]، فأشركوا بمساواة الخالق بالمخلوق -سبحانه وتعالى- وظنوا أن الشفاعة التي تكون عند المخلوق هي هي كالتي تكون عند الخالق، فهذا هو السبب الثاني.

وأما شرك المتأخرين في هذه الأعصار، هؤلاء الذين يصرفون العبادة لغير الله، فله سببان آخران:

- **أما السبب الأول**: فهو الجهل بمعنى لا إله إلا الله، أبو جهل لو سألته ما معنى لا إله إلا الله؟ لقال: معناها: لا معبود حق إلا الله، أبو طالب يقول: لا معبود حق إلا الله، أبو لهب يقول: لا معبود حق إلا الله، لماذا؟ لأنهم عربفكانوا يفهمون معنى الكلام، ولذلك استكبروا عن النطق بها، ﴿إِنَّهُم كانُوا إِذا قيلَ لَهُم لا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَستَكبِرونَ﴾، لماذا يستكبرون؟ بيَّن السبب بعدها، ﴿وَيَقولونَ أَئِنّا لَتارِكو آلِهَتِنا لِشاعِرٍ مَجنونٍ * بَل جاءَ بِالحَقِّ وَصَدَّقَ المُرسَلينَ﴾[الصافات: ٣٥-٣٧]، فمعنى لا إله إلا الله، ﴿أَئِنّا لَتارِكو آلِهَتِنا﴾، معنى لا إله إلا الله: أن تترك جميع الآلهة الباطلة، وأن تعبد الله وحده، نفيٌ وإثبات، ولذلك قالوا: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلٰهًا واحِدًا إِنَّ هٰذا لَشَيءٌ عُجابٌ * وَانطَلَقَ المَلَأُ مِنهُم أَنِ امشوا وَاصبِروا عَلىٰ آلِهَتِكُم إِنَّ هٰذا لَشَيءٌ يُرادُ * ما سَمِعنا بِهٰذا فِي المِلَّةِ الآخِرَةِ﴾[ص: ٥-٧]، ما الملة الآخرة؟ ملة عيسى عليه الصلاة والسلام، هم يسمعون منهم أنَّ الله ثالث ثلاثة، كما حرَّف النصارى، حتى الملة الآخرة فيها تثليث، جاء محمد ليقول: اعبدوا الله ما لكم من إله غيره!! فكانوا يعلمون معنى لا إله إلا الله، ولذلك ما دخل عليهم الشرك من جهة جهلهم بمعنى هذه الكلمة كحال المتأخرين.

لما جلس النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عند رأس أبي طالب وقال: «يا عم، قل: لا إله إلا الله كلمة أُحاج لك بها عند الله»، كان أبو جهل يقول له:



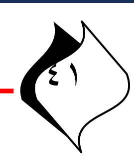
أترغب عن ملة عبد المطلب، لأنه يعلم معنى لا إله إلا الله، يعلم أنه إن قالها فارق ملة عبد المطلب، هذا في الأولين، ولذلك لم يكن الشرك عندهم من جهة الجهل بمعنى لا إله إلا الله.

وأما المتأخرون فإنهم لا يُفسرون لا إله إلا الله بمعناها الحقيقي، وإنما لو سألت أحد الأشاعرة أو الأزهرية: ما معنى لا إله إلا الله كما هو مدون في كتبهم وتقريراتهم الفلسفية؟ يقولون: معناها: لا قادر على الاختراع إلا الله، لا خالق إلا الله، لا مدبر إلا الله، لا رازق إلا الله، لا إله موجود إلا الله، فهل هذا هو معنى لا إله إلا الله؟ لا، ليس هذا هو معنى لا إله إلا الله، لماذا؟ لأن المشركين كانوا يُقرون أنه لا خالق، لا رازق، لا مدبر، إلا الله -سبحانه وتعالى- كانوا يُقرون بذلك، والدليل على ذلك ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَن خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرضَ لَيَقولُنَّ اللهُ﴾[لقمان: ٢٥]، ﴿قُل مَن يَرزُقُكُم مِنَ السَّماءِ وَالأَرضِ أَمَّن يَملِكُ السَّمعَ وَالأَبصارَ وَمَن يُخرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمرَ فَسَيَقولونَ اللهُ فَقُل أَفَلا تَتَّقونَ﴾[يونس: ٣١]، إذًا المشركون كانوا يعلمون أنه لا خالق ولا رازق ولا مدبر ولا مُصرِّف إلا الله -سبحانه وتعالى- فمعنى لا إله إلا الله ليس لا قادر على الاختراع، فلما فسر المتأخرون هذه الكلمة العظيمة على هذا المقتضى صرفوا العبادة لغير الله؛ لأنهم قالوا: نحن نُقر أنه لا خالق إلا الله، ولا قادر على الاختراع إلا الله، إذًا الذبح والنذر والطواف والدعاء للأولياء هذا لا يُنافي كلمة التوحيد، فدخل عليهم الشرك من هذه الجهة، أنهم أخطأوا في معنى لا إله إلا الله، ولو فسروا لا إله إلا الله: لا معبود

بحق إلا الله لما صرفوا شيئًا من العبادة لغير الله، لما وجدت هذه الموالد، مولد البدوي، والحسين، والسيدة، بهذه الأعداد الرهيبة، يُشرَك عند هؤلاء بالله، وهم يُصلون، ويُزكون، ويحجون كل عام، ولكنهم ظنوا أن لا إله إلا الله بمعنى: لا خالق إلا الله، يقولون: ونحن نُقر أنه لا خالق إلا الله، إذًا الذي نصنعه هذا ليس بشرك، فوقعوا في الشرك، أما المعنى الصحيح فقلنا معناه ماذا؟ لا معبود بحق إلا الله، لا أحد يستحق شيئًا من العبادة إلا الله، لا يُصرَف شيء من العبادة إلا لله -سبحانه وتعالى-﴿ذلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْباطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾

- **السبب الرابع**: الجهل بمعنى العبادة، وهذا كذلك لم يكن سببًا عند المتقدمين، أما المتأخرون فقد جهلوا معنى العبادة.

ولذلك لو قلت لواحد من هؤلاء ممن يخاف الأولياء، يظن أنه لو لم يذهب إلى المولد هذا العام لأُصيب في بدنه، وفي ولده، وفي ثروته، لو قلت له: هذا شرك، يقول: أنا ما أشركت بالله -سبحانه وتعالى- أنا أُقر أن الله هو الرازق المدبر، أنا أصلي وأصوم وأحج وأزكي، أنا أعبد الله، فجهلوا معنى العبادة، وقصروا العبادة على أفراد معينة، على توحيد الربوبية، على الإقرار بأن الله هو الرازق الخالق المدبر، على العبادات الظاهرة فقط، صلاة وصوم وزكاة وحج، أما الخوف، أما الرجاء، أما المحبة، أما الرغبة، أما الرهبة، التوكل، الاستعانة، يظنون أن هذه الأمور لا تدخل في باب العبادة، وهذا من جهلهم بمعنى العبادة.



ولذلك ذكر بعض علمائنا قصة فيها عبرة، كان يركب يومًا ما مع سائق تاكسي، فمر على بلدة طنطا، موطن البدوي. أحمد البدوي الذي يُهَاب، وإذا دُعي في البحر أجاب! هكذا يقولون عن البدوي نسأل الله السلامة والعافية، يعتقدون لو أنك في البحر وقلت: يا بدوي أجابك! وهذا شرك بالله، لا يقدر على ذلك إلا الله، سبحان الذي وسع سمعه الأصوات كلها، هكذا قالت عائشة، البدوي في طنطا ويسمع اللي يستغيث به في البحر!

هذا الرجل كان يركب مع سائق التاكسي، فوقف هذا السائق فجاءه أحد الشحاذين، متسول، فطلب منه بعض المال، فأعطاه جنيهًا، فلما أمسك بالجنيه كأنه استقله يعني، جنيه! فقال: سألتك بالبدوي أن تعطيني خمسة جنيهات، فما كان من هذا الرجل الذي كان يركب في التاكسي مع السائق إلا أن قال: أعطني الجنيه، فأخذ الجنيه، وقال للسائق: امضِ، امشِ، والسائق من طنطا، فأخذ السائق طوال الطريق يتمتم، مرعوب من أن يفعل به البدوي الأفاعيل، لأن السائل سأله بالبدوي ولم يعطه هذا الرجل المال!! وأخذ هذا الرجل الموحد يُذكّره بالله، وأن هذا لا يجوز، وأنه لن يفعل شيئًا، حتى إذا وصلوا إلى مقصدهم قال هذا الرجل للسائق: هل فعل البدوي شيئًا؟ لماذا تخاف منه؟ هل فعل شيئًا بنا؟ فقال السائق: إن البدوي رحيم!! -عياذًا بالله- يعني لم يصنع شيئًا بنا لأنه رحيم. يجهل السائق أن خوف هذا المقبور ليس من إفراد العبادة، مع أن هذا هو لُب العبادة، العبادات القلبية هي لُب العبادة، فهؤلاء يصرفون هذه العبادات للأولياء والصالحين ويصرفون العبادة الظاهرة لله، ويقولون:

نحن لا نُشرك بالله! وذلك للخلل عندهم في مفهوم العبادة، فهذا ناقض من نواقض الإسلام، من جعل واسطة بينه وبين الله كفر وخرج من الإسلام إلى الكفر، فذكره الشيخ.

فقال -رحمه الله-: (من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم).

الدعاء ليس بالأمر الهين، والله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- سمى الدعاء عبادة في أكثر من موضع من كتابه، قال تعالى: ﴿وَقالَ رَبُّكُمُ ادعوني أَستَجِب لَكُم إِنَّ الَّذينَ يَستَكبِرونَ عَنْ﴾[غافر: ٦٠] دعائي أم عبادتي؟ ﴿عِبادَتي﴾، فقال في أول الآية: ﴿وَقالَ رَبُّكُمُ ادعُوني﴾، وقال في آخرها: ﴿يَستَكبِرونَ عَن عِبادَتي﴾، فسمى الدعاء عبادة.

وقال على لسان إبراهيم لما قال له أبوه: ﴿لَئِن لَم تَنتَهِ لَأَرجُمَنَّكَ وَاهجُرني مَلِيًّا * قالَ سَلامٌ عَلَيكَ سَأَستَغفِرُ لَكَ رَبّي إِنَّهُ كانَ بي حَفِيًّا * وَأَعتَزِلُكُم وَما تَدعونَ مِن دونِ اللهِ وَأَدعو رَبّي عَسى أَلّا أَكونَ بِدُعاءِ رَبّي شَقِيًّا * فَلَمَّا اعتَزَلَهُم وَما يَعبُدونَ﴾[مريم: ٤٦-٤٩]، فسمى دعاءهم كذلك عبادة.

وقال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «الدعاء هو العبادة»، وهذا هو اللفظ الصحيح الثابت، أما "الدعاء مخ العبادة" فليس بلفظ ثابت.

فالذي يقول: يا بدوي، يا حسين، يا سيدة، شيء لله يا سيدة، هكذا يقولون، ما معنى شالله؟ هكذا يختصرونها: أي شيء لله يا سيدة، هذا شرك أكبر مُخرج من الإسلام، فيدعوهم دعاء عبادة أو دعاء مسألة، يطلب منهم أو يُثني

عليهم بما يكون غلوًا فيه، ورفعًا له إلى مرتبة الألوهية، يدعوهم، ويسألهم، ويتوكل عليهم.

والتوكل هذا من أعظم العبادات القلبية، بل هو شرط في صحة الإيمان، قال الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلوا إِن كُنتُم مُؤمِنينَ﴾[المائدة: ٢٣]، "إن" هذه شرطية، إن كنتم مؤمنين فتوكلوا على الله، وتقديم ما حقه التأخير يفيد ماذا؟ يفيد الحصر، وقصر التوكل على الله، ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلوا﴾، لا تتوكلوا على أحد غيره -سبحانه وتعالى-، فلا يصح أن يقال: توكلت على الله وعليك، ولا يصح كذلك: ثم عليك فتنبه.

فالتوكل: اعتماد القلب على الله في سائر أمور الدنيا والدين، هذا هو معنى التوكل، ولذلك كان من أعظم أسماء الله اسم الله الوكيل، ولا يُدعى الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- به إلا في المدلهمات، الأنبياء عندما يقعون في الأمور الشديدة يدعون الله باسمه الوكيل.

ولذلك **"حسبنا الله ونعم الوكيل"** قال ابن عباس: "قالها إبراهيم حين أُلقي في النار"، ما قال: حسبنا الله ونعم الحفيظ، ونعم الغفور، ونعم الرحيم، قال: **"ونعم الوكيل"،** لأن هذا الموضع يتطلب اعتمادًا كاملًا للقلب على الله.

وقالها محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حين قيل له: ﴿إِنَّ النّاسَ قَد جَمَعوا لَكُم فَاخشَوهُم فَزادَهُم إيمانًا وَقالوا حَسبُنَا اللهُ وَنِعمَ الوَكيلُ﴾[آل عمران: ١٧٣].

ولذلك قال الشيخ ابن عبد الوهاب في فوائد كتاب التوحيد في الفائدة الثانية في باب التوكل قال: "إنه من شروط الإيمان"، التوكل على الله -سبحانه وتعالى- اعتماد القلب على الله هذا من شروط الإيمان.

فالذي يجعل واسطة بينه وبين الله، يدعوها، ويسألها، ويتوكل عليها، ما حكمه؟ قال الشيخ -رحمه الله-: **(كفر إجماعًا)**، يعني خرج من الإسلام إلى الكفر، هذا معنى "كفر"، قال: **(إجماعًا)**.

لماذا ذكر الإجماع؟ يعني ما قال كفر لقول الله تعالى: **﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ﴾**، أو لقول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وذكر حديثًا للنبي، لماذا ذكر الإجماع بالذات؟

أولًا: ما الإجماع؟ الإجماع في اللغة بمعنى: الاتفاق، أو بمعنى العزم.

وأما في الاصطلاح: فهو اتفاق مجتهدي هذه الأمة على أمر شرعي بعد موت النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هذا معنى الإجماع.

لماذا ذكر المصنف -رحمه الله- الإجماع؟ قال الشُرَّاح: إنما ذكر الإجماع لأنه لو ذكر آية فلربما قال معارضوه: هذه الآية منسوخة، أو هذه الآية تحتمل معنى آخر، أوَّلوا الآية، لأن القرآن حمَّال للوجوه، الآية قد يكون ليها أكثر من معنى، الحديث قد يحتمل أكثر من معنى، فذكر الإجماع لأن الإجماع لا يِنسَخ. الإجماع بعد موت النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فلن ينزل قرآن ينسخ هذا الإجماع، الإجماع معناه أنه لا خلاف في هذه المسألة، فلن يُنسَخ الإجماع.

ثم إن الإجماع من قبيل الخاص، يُفيد معنى خاصًا، وليس معنى عامًا يحتمل أكثر من وجه، فالإجماع اتفاق في قضية خاصة، لا تحتمل إلا معنى واحدًا، هذا الثاني.

مخالف الإجماع يكفر، بخلاف من خالف الآية بتأويل، يقول: هذه الآية لها معنى غير هذا المعنى، أما الإجماع فهو قطعي الدلالة، ليس له إلا معنى واحد.

إذا ثبت الإجماع فهو قطعي، لا يحتمل الاجتهاد، ولا يحتمل الخطأ والصواب، بل هو صواب أبدًا؛ لأن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: **«لا تجتمع أمتي على ضلالة»**.

فقال فيمن جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم ويتوكل عليهم قال: **(كفر إجماعًا)**، إذًا هذا هو الناقض الثاني.

قال في الناقض الأول : وهذا نسينا أن نذكره في الدرس الماضي.

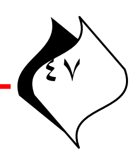
(ومنه الذبح لغير الله).

فهذا شرك في العبادة، هل الذبح عبادة؟ الذبح منه ما هو مباح ومنه ما هو عبادة، ما الدليل على أن الذبح عبادة؟ **﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانحَر﴾**[الكوثر: ٢]، أي: وانحر لربك، **﴿قُل إِنَّ صَلاتي وَنُسُكي وَمَحيايَ وَمَماتي لِلَّهِ رَبِّ العالَمينَ﴾**[الأنعام: ١٦٢]، قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«لعن الله من ذبح لغير الله»**.

وهنا ينبغي التنبيه على أمر يقع فيه بعض الناس، بعض الناس لو اشترى محلا جديد، أو بنى بيتًا جديد، ماذا يصنع؟ يذهب إلى عتبة الباب، هذا قد يكون

شركـًا بالله، لماذا؟ لأن بعض هؤلاء إنما يذبحون دفعًا للجن، ودفعًا للأذية، فهذا شرك بالله، يتقرب إلى الجن بهذا الذبح، أو يذبحون من أجل دفع العين، وبعضهم يذبح على العتبة، ويلطخ الجدران بالدماء على صورة خمس أصابع، فهذا ماذا؟ هذا شرك أصغر، وهو بدعة، لماذا؟ لأنه اتخذ ما ليس بسبب سببـًا، الذبح لا يدفع العين، وإنما الذي يدفع العين الرقية الشرعية، أما الذبح فلا يدفع العين.

لو أن إنسانـًا ذبح شكرًا لله، يقال له: لا تذبح عند عتبة الباب، اذبح داخل البيت، أو اذبح في الطريق، أو حيث يذبح الناس، فهذا شكر لله، أما الذي يذبح على عتبة الباب ويصنع هكذا على الجدران فهذا ما ذبح لله، وإنما ذبح لغيره -سبحانه وتعالى- فهو ملعون، كما قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، وجزاكم الله خيرًا.



الناقض الثالث: عدم تكفير المشركين

قال المصنف -رحمه الله-: **(من لم يُكفِّر المشركين، أو شك في كبرهم، أو صحح مذهبهم كفر).**

والمراد بهذا الناقض أن الإسلام مبنيٌّ على النفي والإثبات، فنقول: "لا إله" هذا نفي عام، ثم نقول: "إلا الله" وهذا إثبات خاص، كما نقول محمد رسول الله: لا نبي يستحق المتابعة إلا نبينا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فديننا قائم على النفي والإثبات، تنفي كل الآلهة الباطلة وتُثبت العبادة الحقة لله -سبحانه وتعالى- وتنفي متابعة أي أحد، وتُثبت المتابعة والاتباع للنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهذا في سائر أمور الدين، تجد دائمًا نفيًا وإثباتًا.

وفي هذه المسألة أنت تقول أن من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله قد دخل في الإسلام. إذن ما حكم من لم يقل هذه الكلمة؟ ما حكم من قال: إن اللات، والعزى، ومناة، آلهة تُعبَد من دون الله؟ ما حكم من قال: إن المسيح ابن الله؟ أو قال: إن المسيح ثالث ثلاثة؟ ما حكم من قال: إن عزيرًا ابن الله؟ كما سمعنا في الآيات في صلاة العشاء، ما حكم هؤلاء؟ هل هؤلاء موحدون؟ هل هم من أهل الوعد؟ يعني من أهل الجنة، أم ماذا؟

فقال المصنف -رحمه الله-: (من لم يُكفِّر المشركين)، يُكفِّر يُفعِّل، كفَّر تكفيرًا، فعَّل تفعيلًا، أي عدَّى حكم الكفر إليهم، ووصفهم بأنهم مشركون، وأنهم كافرون.

(من لم يُكفِّر المشركين)، أي الذي لا يقول: إن اليهود كفار، إن النصارى كفار، إن المشركين كفار.

(أو صحح مذهبهم، أو شك في كفرهم)، سألتَه: هل النصارى كفار؟ قال: الله أعلم، لا أدري، هل اليهود كفار؟ لا أدري، أو قال: أشك في كفرهم، لا أدري إن كانوا كفارًا أم لا مع علمه بما ورد في حقهم.

(أو صحح مذهبهم)أي قال: إن الذي عليه النصارى، والذي عليه اليهود، والذي عليه المشركون، هذا دين حق كدين الإسلام، مآلهم كلهم إلى الجنة.

إذًا الذي لا يُكفّرهم، أو شك في كفرهم، تردد في كفرهم، وهو يعلم ما جاء في الكتاب والسنة، أو صحح مذهبهم، قال: هم مثلنا، مؤمنون مثلنا، ما حكم هذا؟ قال: **(كفر)** هذا خرج من الإسلام إلى الكفر وخلع ربقة الإسلام من عنقه.

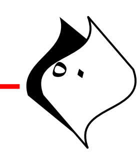
إذًا ديننا كما قلنا قائم على النفي والإثبات، لا يصح النفي فقط دون الإثبات ولا الإثبات دون النفي، بل لابد من اجتماعهما، ولكن يرد سؤال: لماذا نُكفِّرهم؟ الله -عَزَّ وَجَلَّ- قال: **﴿لَكُم دينُكُم وَلِيَ دينِ﴾**[الكافرون: ٦]، وقال: **﴿لا إِكراهَ فِي الدّينِ﴾**[البقرة: ٢٥٦]، وقال: **﴿فَمَن شاءَ فَليُؤمِن وَمَن شاءَ فَليَكفُر﴾**[الكهف: ٢٩]، فلماذا نُكفِّرهم؟ نقول: الله -عَزَّ وَجَلَّ- هو الذي كفَّرهم، نحن ما كفَّرناهم، الله ورسوله هما اللذان كفَّرا هؤلاء، لأن التكفير أمر لا بد فيه من دليل، مرده للسمع لا العقل، فمن الخطورة قول بعض الناس

(بالعامية المصرية) عند الخلاف: ده كافر، مش هيورد على جنة، أو ده داخل النار حتف، ما الدليل؟ هو كده مزاجي!! هذا لا يجوز، النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما»، إما أن يكون كافرًا كما قال، وإلا رجعت عليه، أي كفَّر نفسه.

هذه كلمة عظيمة جدًا، حذر منها النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

يكفي أنه أخبر عن رجل من بني إسرائيل قال كلمة أوبقت دنياه وأخراه، قال لأخيه: والله لا يغفر الله لك، فقبض الله روحه، وأدخله النار، وأحبط عمله بسبب هذه الكلمة؛ لأنه تألَّى على الله وكفَّر من لا يستحق التكفير، أما من كفَّره الله فنُكفِّره.

هل كفَّر الله المشركين الذين يعبدون القبور والأصنام واللات والعزى والأولياء، ويطوفون حول قبورهم، ويذبحون لهم؟ كفَّرهم -سبحانه وتعالى- كما ذكرنا في الآيات السابقة، وكما ذكرنا في هذه الآيات التي قرأناها في صلاة العشاء، الله -عَزَّ وَجَلَّ- يقول: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا إِنَّمَا المُشرِكونَ نَجَسٌ فَلا يَقرَبُوا المَسجِدَ الحَرامَ بَعدَ عامِهِم هذا وَإِن خِفتُم عَيلَةً﴾، يعني فقرًا، والمراد هنا نجاسة الشرك ﴿فَسَوفَ يُغنيكُمُ اللهُ مِن فَضلِهِ إِن شاءَ إِنَّ اللهَ عَليمٌ حَكيمٌ * قاتِلُوا الَّذينَ لا يُؤمِنونَ بِاللهِ وَلا بِاليَومِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمونَ ما حَرَّمَ اللهُ وَرَسولُهُ وَلا يَدينونَ دينَ الحَقِّ مِنَ الَّذينَ أوتُوا الكِتابَ حَتّى يُعطُوا الجِزيَةَ عَن يَدٍ وَهُم صاغِرونَ﴾[التوبة: ٢٨-٢٩]، الذين أوتوا الكتاب: اليهود والنصارى.



﴿وَقالَتِ اليَهودُ عُزَيرٌ ابنُ اللهِ﴾، إذًا هذا شرك، يصرفون العبادة لغير الله، ﴿وَقالَتِ النَّصارَى المَسيحُ ابنُ اللهِ﴾، قال تعالى: ﴿ذلِكَ قَولُهُم بِأَفواهِهِم يُضاهِئونَ قَولَ الَّذينَ كَفَروا مِن قَبلُ قاتَلَهُمُ اللهُ أَنّى يُؤفَكونَ﴾[التوبة: ٣٠]، أي: يُشابه قولهم قول الذين كفروا، فكفّرهم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لما قالوا مثل هذا القول.

قال: ﴿اتَّخَذوا أَحبارَهُم وَرُهبانَهُم أَربابًا مِن دونِ اللهِ وَالمَسيحَ ابنَ مَريَمَ وَما أُمِروا إِلّا لِيَعبُدوا إِلهًا واحِدًا لا إِلهَ إِلّا هُوَ سُبحانَهُ عَمّا يُشرِكونَ﴾[التوبة: ٣١]، فوصفهم بالشرك -سبحانه وتعالى-.

إذًا الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- في القرآن كفَّر المشركين، وكفَّر اليهود، الذين قالوا: يد الله مغلولة، والذين قالوا: عزير ابن الله، وكفَّر النصارى، قال: ﴿لَقَد كَفَرَ الَّذينَ قالوا إِنَّ اللهَ هُوَ المَسيحُ ابنُ مَريَمَ﴾[المائدة: ١٧]، ﴿لَقَد كَفَرَ الَّذينَ قالوا إِنَّ اللهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ﴾[المائدة: ٧٣].

إذًا لو أن إنسانًا سألك: ما حكم النصارى؟ لا تقل كما يقول هؤلاء الدجاجلة الذين ينتشرون في وسائل الإعلام اليوم، يقولون: النصارى مؤمنون، وهم أهل كتاب، وسيدخلون الجنة كالمسلمين، هذا كلام باطل، وقوله كفر؛ لأنه يخالف ويُكذّب كتاب الله وسنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الله قال: ﴿لَقَد كَفَرَ الَّذينَ قالوا إِنَّ اللهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ﴾[المائدة: ٧٣]، والنصارى يعبدون الأب، والابن، والروح القدس، ولذلك تجد النصارى يفعلون هكذا في صلاتهم، ما معنى هذا المثلث؟ يقولون: الآب، يعني الرب، والابن، يعني

عيسى، والروح القدس، هذا الذي نزل على مريم عند ميلاد عيسى -عليه الصلاة والسلام- فيُثلِّثون ويكفرون، الله قال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذينَ قالوا إِنَّ اللهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ﴾، فهؤلاء كفار؛ لأنهم مشركون في العبادة.

واجبٌ عليك أن تعتقد ذلك، وإذا سُئلت فلا تقل لا أدري؛ لأنك بهذا ترد ما جاء في كتاب الله وما جاء في سنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

حتى لو سلمنا جدلًا أنهم موحدون، يعني لا يعبدون عزيرًا، ولا يعبدون المسيح، فهم ما آمنوا بمحمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أُرسل إلى الناس كافة، فلم يُرسَل إلى العرب فقط، ولا إلى قومه خاصة، وإنما كان مما أعطى الله نبيه ولم يُعطِ أحدًا إلا محمدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه أرسله إلى الناس كافة، وقد كان كل رسول وكل نبي يُرسَل إلى قومه خاصة، قومه دول عشرين، تلاتين، مائة، ألف، أكثر، أقل، يُرسَل إلى هؤلاء، وغير مطالب بأن يدعو غيرهم، أما محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فأُرسل إلى الناس كافة، أُرسل إلى الإنس والجن، لأنه آخر رسول، ولن يأتي رسول بعده -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

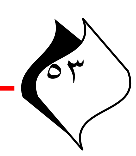
ولذلك كانت من حكمة الله أن يُرسله إلى جميع الناس، قال الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَما أَرسَلناكَ إِلّا رَحمَةً لِلعالَمينَ﴾[الأنبياء: ١٠٧]، وبيَّن أنه أرسله إلى الناس كافة بشيرًا ونذيرًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقال: ﴿تَبارَكَ الَّذي نَزَّلَ الفُرقانَ عَلى عَبدِهِ لِيَكونَ لِلعالَمينَ نَذيرًا﴾[الفرقان: ١].

فحتى لو كان هؤلاء موحدين، لا يُشركون في العبادة فقد كفروا بمحمد-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

لو سألت واحدًا من النصارى أو اليهود: هل تؤمن بنبوة محمد-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ لقال: لا، فكيف أقول: إنه مؤمن موحد يدخل الجنة؟ والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: **«والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني من هذه الأمة، ثم لا يؤمن بي، إلا كان من أصحاب النار»**، أي أصحاب النار الذين هم أصحابها ملازمون لها. هذا قول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فواجب على جميع الناس، على الإنس والجن، أن يؤمنوا بمحمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

بل الذي يقول: لا يجب علينا أن نعتقد كُفرَ هؤلاء هذا يهدم الدين، لماذا؟ لأن الأنبياء ما جاؤوا إلا بالتوحيد، وكل نبي يأتي قومه يقول: **﴿اعبُدُوا اللهَ ما لَكُم مِن إِلهٍ غَيرُهُ﴾**[الأعراف: ٥٩]، ويجاهد في سبيل الله لإدخال الناس في الإسلام، وإخراجهم من الشرك والكفر، فهذا القول يهدم رسالة الأنبياء.

بل هذا يطعن في النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كيف ذلك؟ يقال للمعارض: لماذا أرسل الله هذا النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ إذا كان لا يجب علينا أن ندعوا المشركين، وأن نبين ضلالهم، وأن نُخرجهم من الشرك إلى الإيمان، لماذا غزا النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- المشركين؟ لماذا قتل في غزوة بدر، وفي غزوة أحد، وفي غزوة الأحزاب، وغيرها من الغزوات؟ إن لم تكن دعوة هؤلاء إلى الإسلام واجبة فلماذا كان كل هذا الجهد والجهاد منه صلى



الله عليه وسلم؟، فالذي لا يُكفّر هؤلاء كذّب القرآن، وكذّب السنة، وطعن في رسالة الأنبياء وفي نبينا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

فإذًا الواجب أن نُكفّر من كفّره الله، وهذا لا يعني قتلهم، فاعتقاد تكفير هؤلاء لايقتضي قتلهم، لا يعني قتل النصارى. العوام يسمون النصارى مسيحيين، وهذه التسمية خطأ، لا يجوز لنا أن نسمي النصارى مسيحيين، لماذا؟ لأن المسيحي هو المتبع للمسيح -عليه الصلاة والسلام- هذا مسيحي، أقول: أنا محمدي، ما معنى محمدي؟ أي أتبع محمدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هل هو تابعَ المسيحَ حقًّا؟ لا، المسيح قال: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسولٍ يَأتي مِن بَعدِي اسمُهُ أَحمَدُ﴾[الصف: ٦]، بشَّر المسيح-وهم يعلمون ذلك- بمقدم محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فلم يؤمنوا به، التوراة كان فيها ذكر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وُسِم باسمه ووصفه في التوراة -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ومع ذلك جحد اليهود نبوة محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

قال الله -عَزَّ وَجَلَّ- عن حال أهل الكتاب مع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ﴿يَعرِفونَهُ كَما يَعرِفونَ أَبناءَهُم﴾[البقرة: ١٤٦]، هل من الممكن أن يشك الواحد في ابنه؟ لو أتيت بمليون طفل وقلت لرجل: أين ولدك في هؤلاء؟ سيخرجه من هذا المليون، لأنه ابنه، لا يُخطئ في معرفته، اليهود والنصارى يعرفون صفة محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما يعرفون أبناءهم، ولكنهم يكتمون ذلك ويجحدون، فحتى لو كانوا موحدين لا يشركون في العبادة، فهم

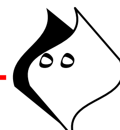
لم يؤمنوا بمحمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فهم كفار، ليسوا بمؤمنين من أهل الجنة.

فالشيخ هاهنا يقول: **(من لم يُكفِّر المشركين، أو شك في كبرهم، أو صحح مذهبهم، كفر)** فالمسألة ليست بالأمر الهين، هذه مسألة إيمان وكفر، فهذا مما ينبغي أن تعتقده، أن تعتقد أنه لا دين صحيح على وجه الأرض إلا دين الإسلام، هذا هو الدين الصحيح، ولن ينجو ولن يدخل الجنة إلا المسلمون أتباع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لن يدخل واحد من اليهود والنصارى طالما أنه لم يوحد الله ولم يؤمن بنبينا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

شبهات والرد عليها

•يقولون: الله تعالى يقول: **﴿فَمَن شاءَ فَليُؤمِن وَمَن شاءَ فَليَكفُر﴾**[الكهف: ٢٩]، فالآية واضحة بينة في التخيير، فلم تحجرون واسعاً؟!

نقول: ليس هذا هو المراد من الآية، وإنما الآية خرجت مخرج الوعيد والتهديد، ليس معنى الآية: من اختار أن يكون مسلماً فله ذلك، ومن أراد أن يكون كافراً فليكن. هذا فهم مغلوط، ما الدليل؟ أكمل الآية، قال تعالى: **﴿فَمَن شاءَ فَليُؤمِن وَمَن شاءَ فَليَكفُر إِنّا أَعتَدنا لِلظّالِمينَ﴾**، أي الكفار **﴿نارًا أَحاطَ بِهِم سُرادِقُها وَإِن يَستَغيثوا يُغاثوا بِماءٍ كَالمُهلِ يَشوِي الوُجوهَ بِئسَ الشَّرابُ وَساءَت مُرتَفَقًا﴾**[الكهف: ٢٩]، إذاً هذا تهديد، كما تقول لولدك وقد طلبت منه شيئًا: افعل أو لا تفعل، وهذا ليس إذنًا منك بأن يفعل هذا أو ذاك، وإنما هو تهديد، وإنما هو خرج مخرج التهديد، طيب.



•يقولون: الله -عَزَّ وَجَلَّ- يقول: ﴿لَكُم دينُكُم وَلِيَ دينِ﴾[الكافرون: ٦]،نقول لهم: ونحن نقول: لكم دينكم ولي دين، ولكن اقرأ أول السورة، قال تعالى: ﴿قُل يا أَيُّهَا الكافِرونَ﴾[الكافرون: ١]، سمَّاهم الله كافرين، فلا بد أن تعتقد كفرهم بكتاب الله وبسنة النبي وبالإيمان بالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

• يقولون: الله تعالى يقول: ﴿لا إِكراهَ فِي الدّينِ﴾، فنقول: نعم، ولكنه قال بعدها: ﴿قَد تَبَيَّنَ الرُّشدُ مِنَ الغَيِّ﴾[البقرة: ٢٥٦] ما الرشد؟ الإسلام هو الرشد، وهو العروة الوثقى، ما الغي؟ كل ما خالف الإسلام، من دين اليهود والنصارى والمشركين.

إذًا لا يُستدَل بهذه الآيات على تصحيح دين هؤلاء ومذهبهم الباطل المناقض لعقد الإسلام ولا يستدل به على عدم تكفيرهم، أو على الشك في كفرهم.

ما الذي يترتب على تكفير المشرك؟ لو اعتقدت أن المشركين كفار، فما الذي يترتب على كفرهم؟ يترتب على الحكم بكفرهم أمور ذكرها الشيخ الفوزان في شرحه على النواقض.

أولًا: البغض لهؤلاء، لا أحبهم، إذ كيف أحب رجلًا يكفر ليل نهار بالله ورسوله، والله تعالى يقول: ﴿لا تَجِدُ قَومًا يُؤمِنونَ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ يُوادّونَ﴾، يعني يحبون ﴿مَن حادَّ اللهَ وَرَسولَهُ﴾[المجادلة: ٢٢]، فلا أحبه، وإنما أُبغضه في الله، أنا لا أحب إلا المسلم الموحد، ولكن لا أحب النصراني، ولا اليهودي،

ولا المشرك، قد أحب الكتابي طبعـًا لقرابةٍ أو لمصاهرة، كأن يتزوج الرجل كتابية، ولكن لا أحبهم دينـًا.

وقال تعالى: ﴿قَد كانَت لَكُم أُسوَةٌ حَسَنَةٌ في إِبراهيمَ وَالَّذينَ مَعَهُ إِذ قالوا لِقَومِهِم إِنّا بُرَآءُ مِنكُم وَمِمّا تَعبُدونَ مِن دونِ اللهِ كَفَرنا بِكُم وَبَدا بَينَنا وَبَينَكُمُ العَداوَةُ وَالبَغضاءُ أَبَدًا﴾، لا يحبونهم، ﴿حَتّى تُؤمِنوا بِاللهِ وَحدَهُ﴾[الممتحنة: ٤]، حتى يوحدوا الله، فهذا هو الأمر الأول، نُبغضهم في الله.

ثانيا: لا توارث بين المسلم والكافر، فالمسلم لا يرث المشرك، لا يرث النصراني، لا يرث اليهودي، ولا يرثه المشرك كذلك. هب أن رجلًا تحول أبوه أو أخوه من الإسلام إلى النصرانية ارتدَّ، لا يرثه، لا هذا يرث هذا ولا هذا يرث هذا، ولا يرث أولاده كذلك، لأن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: **"لا توارث بين أهل ملتين شتى"**.

ثالثـًا: لا يُصلَى عليه، إن مات على شركه لا يُصلَى عليه، ولا يُغسَّل، ولا يُكَفَّن، ولا يُدعَى له، ولا يُدفَن في مقابر المسلمين، كما قال الله -عَزَّ وَجَلَّ- عن المنافقين: ﴿وَلا تُصَلِّ عَلى أَحَدٍ مِنهُم ماتَ أَبَدًا وَلا تَقُم عَلى قَبرِهِ إِنَّهُم كَفَروا بِاللهِ وَرَسولِهِ وَماتوا وَهُم فاسِقونَ﴾[التوبة: ٨٤].

رابعـًا: كذلك لا يُزوّج من المسلمة؛ لأنه يفتنها في دينها، ويهين نبيها -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فالمسلمة لا تتزوج المشرك، ولا تتزوج النصراني، ولا اليهودي، بخلاف المسلم، فله أن يتزوج واحدة من أهل الكتاب، أي: من اليهود والنصارى، مع الكراهة، يتزوجها إن لم يجد مؤمنة يتزوجها.

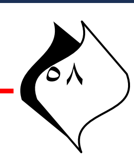
ولذلك كره أهل العلم هذا الأمر مع أنه من المأذون فيه، ولكن قالوا: هذا عند خشية العنت، لو أن إنسانًا لم يجد مسلمة وخشي أن يقع في الزنا فله أن يتزوج يهودية أو نصرانية.

خامساً: عدم البدء بالسلام، **«لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام»**، كما قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- **«لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام»**، ولا اليهود كذلك، إذا قابلك في الطريق فلا تبدأ السلام، لا تقل: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، ولكن إن بدأك هو وقال: السلام عليكم فقل: وعليكم السلام.

لو دخلت على نصراني في الصيدلية مثلًا، أو في المحل، قل له: صباح الخير يا فلان، مساء الخير يا فلان، كيف الحال يا فلان؟، إنما السلام لا أبدأ بإلقاء السلام كما بيَّن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

سادساً: عدم التمكين من دخول الحرم المكي، **﴿إِنَّمَا المُشْرِكونَ نَجَسٌ فَلَا يَقرَبُوا المَسجِدَ الحَرامَ بَعدَ عامِهِم هذا﴾**[التوبة: ٢٨]، ونجاسة المشركين نجاسة معنوية، وليست نجاسة حسية، هل يجوز لي أن أصافح إنسانًا نصرانيًا؟ نعم، سلم عليه، هل ذلك ينقض الوضوء؟ لا ينقض الوضوء لأن هذه نجاسة في القلب، نجاسة الشرك نجاسة معنوية، لا يُطهرها إلا التوحيد، أن يوحد الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ولو اغتسل كل يوم بماء البحر فلن يطهر حتى يوحد الله تعالى.

سابعاً: كذلك عدم تفضيلهم على المسلم، تجد بعض الناس يقع في هذا الأمر، يقولك: والله فلان النصراني هذا أحسن من مائة مسلم، هذا أخلاقه كذا



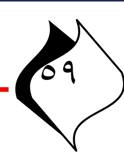
وكذا ، هذا لا يجوز، وهذا من الكبائر، لأنه مشرك، لا يفضل على المسلم الموحد. المسلم وإن وقع في كبيرة من الكبائر هو أفضل عند الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يكفي أنه غير مشرك، والشرك أعظم ظلم، وأعظم جرم يقع فيه الإنسان، فلا يجوز لك أن تمدح نصرانيًا أو يهوديًا على حساب المسلمين، كل هذه الأمور لا تجوز في حقه.

ما الذي يجوز لنا معهم؟

- يجوز لك أن تبيع لهم وأن تشتري منهم، كما كان النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يتعامل مع المشركين، ويتعامل مع اليهود، في البيع والشراء، وهذا لا حرج فيه، طالما أن البيع في نفسه مشروع، والسلعة نفسها مشروعة.

قلنا: اعتقاد كفرهم لا يعني قتلهم، لا يعني تفجيرهم في كنائسهم، هذا جرم عظيم، تفجير الكنائس جرم عظيم وكبيرة من الكبائر، النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: **«من آذى ذميًا لم يرح رائحة الجنة»**، فاليهودي أو النصراني إذا دخل بلدك بأمان بجواز سفر لا يجوز لك أن تؤذيه. قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«لم يرح رائحة الجنة»، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»**، فالذي يجب أن تعتقده أن هؤلاء غير مؤمنين، غير موحدين، غير ناجين في الآخرة إن ماتوا على ذلك، أما المعاملة فهذا شيء آخر.

ولذلك الذي يقوم به الخوارج من تفجير الكنائس، وقتل السائحين، والسفراء، كل هذا باطل وجرم عظيم نهى عنه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.



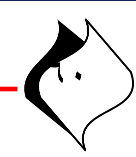
- كذلك تجوز الاستفادة من خبراتهم. هل يجوز لي أن أستعين بواحد من أهل الكتاب من اليهود والنصارى لتشغيل مصنع أو آلة جديدة يحسن هو تشغيلها؟ نعم، يجوز لك أن تستفيد منهم في خبرتهم، حتى ولو كان من المشركين، ولم يكن من أهل الكتاب.

والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في الهجرة -لو تذكرون- استأجر عبد الله بن أريقط، وكان من المشركين من أهل مكة، استأجره ليكون هاديًا خريتًا ليدله على الطريق إلى المدينة، كان مشركًا واستعان به النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لخبرته، ولكن مع هذا يُبغضه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ويدعوه إلى الإسلام، ويعتقد أنه لن ينجو إلا إذا دخل في الإسلام.

- كذلك عقد الصلح، والهدنة، والمعاهدة معهم، لك أن تعقد صلحًا وهدنة معهم، ومعاهدة.

مثال واضح جدًا: اليهود معنا على الحدود في سينا، دولة اليهود، الدولة اللقيطة التي يقال عنها دولة إسرائيل، وهذه تسمية لا تصح؛ لأن إسرائيل هو النبي يعقوب، أبو يوسف -عليهما الصلاة والسلام- اسمه إسرائيل، فهم ينسبون أنفسهم له تشرفًا به، وهم ليسوا من المكانة حتى يُنسَبوا إلى إسرائيل، إلى النبي، ولكن يقال اليهود.

فهل يجوز لنا أن نعقد الصلح معهم؟ أن نعقد معاهدة معهم؟ كما في معاهدة كامب ديفيد مثلًا؟ أو أي معاهدة أو عقد تجاري؟ نعم يجوز، وليس في هذا كفر، ولا شرك، ولا خروج من الإسلام، ولا ردة، كما يقول الخوارج،



الذين يُكفرون الجيش المصري في سيناء وفي غيرها، ويحاربون أهل الإسلام، ويتركون اليهود خلفهم، كيف يجوز؟ نقول: فعلها النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هل أنت أغيَر على دين الله من النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟! النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أول ما هاجر إلى المدينة عاهد اليهود، عمل معاهدة معروفة بينه وبين اليهود، وفي صلح الحديبية عاهد المشركين، ونحن نعلم بنود صلح الحديبية، إذًا المعاهدة مع هؤلاء تجوز.

الطالب: هل هذا مقيد بطلبهم لذلك؟

الجواب: إن طلبوا هم أو إن كنت أنت مستضعفًا وطلبت أنت ذلك، أضرب لك مثالًا:

هم طلبوا المعاهدة، وأنت في وضع القوة، يجوز لك أن تقبل المعاهدة ويجوز لك أن ترفضها، قد ترفضها حتى تُدخلهم في دين الإسلام، وقد ترضى بها لماذا؟ لأنك ترى أن الوقت ليس مناسبًا الآن لدعوة هؤلاء، أو لقتالهم، أو لفرض الجزية عليهم، أو غير ذلك في أمور أخرى. هب أنك أنت المستضعف، دولتك ضعيفة، فإذا طلبت أنت هذه المعاهدة فلا بأس، لماذا؟ لأنك لو رفضت هذه المعاهدة وقلت: سأدخل معهم في حرب أو غير ذلك، أنت ضعيف، وبالتالي يستأصلونك، ويتعرض المسلمون للأذى الشديد.

ولذلك كان النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو في مكة كان الله -عَزَّ وَجَلَّ- يقول له ولأصحابه رضي الله عنهم كما في سورة النساء: ﴿كُفّوا أَيدِيَكُم وَأَقيمُوا الصَّلاةَ﴾[النساء: ٧٧]، كان بعضهم يُقتَل، وبعضهم يُوضَع في الحصير،

ويُوقَد في هذا الحصير، وبعضهم يُجلَد، ويأتون إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيقول صلى الله عليه وسلم: «اصبروا»، لماذا؟ لأنهم مستضعفون. الجهاد لم يُفرَض إلا في المدينة، بعد أن صاروا أصحاب قوة وأصحاب دولة، وأما في مكة فكانوا مستضعفين.

ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "على المسلمين في أوقات الضعف أن يعملوا بآيات الصبر، وفي أوقات القوة أن يعلموا بآيات الجهاد"، في أوقات الضعف -كما هو الحال الآن- يُعمَل بآيات الصبر، إن كانت هناك معاهدة، أو صلح، أو غير ذلك، إلى أن يعود المسلمون إلى ربهم، وإلى دينهم، وإلى قوتهم العسكرية، فيعملون بالآيات الأخرى، فيجوز عقد الصلح والهدنة والمعاهدات معهم.

- كذلك لا مانع من البر، والقسط، والإحسان إليهم، إلى اليهود والنصارى الذين يسكنون معك في بلدتك، البر والإحسان، تقدم له بعض الطعام. كان ابن عمر -رضي الله عنه- يأمر خادمه أن يزيد في الطعام ليهدي منه إلى جاره اليهودي، يتألفه، كان النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يزور اليهود ليدعوهم إلى الإسلام، كما زار الغلام اليهودي.

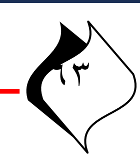
فالبر والقسط معهم جائز، قال الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿لا يَنهاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذينَ لَم يُقاتِلوكُم فِي الدّينِ وَلَم يُخرِجوكُم مِن دِيارِكُم أَن تَبَرّوهُم وَتُقسِطوا إِلَيهِم إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقسِطينَ﴾[الممتحنة: ٨]، فليس هناك مانع أن تعطي من

معك في العمل هدية، أو تدفع له أجرة السيارة، أو غير ذلك، كل هذا لا مانع منه.

لما فجر الخوارج كنائس النصارى كان الرد الطبيعي أن يُبيَّن ما بينه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن هؤلاء لهم ذمة، ولا يجوز أن نعتدي عليهم، هذا يُبيَّن مع ما جاء في القرآن مما لا يخالف العقيدة، أنهم وإن لم يكونوا مؤمنين بديننا، وإن كان الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- سماهم كفارًا، إلا أن لهم حقًا لا ينبغي أن نتعداه، وعلينا أن نُعاملهم بالحسنى، فهذه هي الوسطية، أن تبين هذا وأن تبين ذاك، هؤلاء حكمهم أنهم كفار، هل يجوز أن نعتدي عليهم؟ لا يجوز لنا أن نعتدي عليهم.

ماذا فعل الإعلام المضلل؟ أراد أن يحارب هؤلاء الخوارج، فقال: هؤلاء مؤمنون، وأهل كتاب، وهم من أهل الجنة، وبالتالي كانت النتيجة عكسية، ما النتيجة؟ أنتم بقولكم هذا تُكذبون القرآن صراحة، القرآن يقول: ﴿لَقَد كَفَرَ الَّذينَ قالوا إِنَّ اللهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ﴾[المائدة: ٧٣]، ﴿لَقَد كَفَرَ الَّذينَ قالوا إِنَّ اللهَ هُوَ المَسيحُ ابنُ مَريَمَ﴾[المائدة: ١٧]، وبالتالي عاد الأمر عليهم، وخرج الخوارج يقولون: إن هؤلاء يُكذبون القرآن الذي يقول كذا وكذا، فكان العلاج بطريقة غير صحيحة.

ولو نظرت في كتب الأزهر لوجدت هذه العقيدة الصحيحة، ولكنه المنصب، نسأل الله العافية، لو نظرت في كتب الأزهر لوجدت هذا المعتقد، أن



اليهود كفار، وأن النصارى كفار، وأنهم يشركون، وهم يقولون ذلك في مجالسهم الخاصة، هذا موجود في كتبهم صراحة.

فالذي ينبغي أن تعتقده هذا الأمر، ما ينبغي أن تشك فيه قِيد أنملة: **أنه لن ينجو إلا من وحد الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وتابع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأن من لم يُكفِّر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم فقد كفر، وهذا من الأمر المجمع عليه بين المسلمين.**

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، وجزاكم الله خيرًا.

الناقض الرابع: الحكم بغير ما أنزل الله

قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-:

(الرابع: من اعتقد أن غير هدي النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذي يُفضِّل حكمَ الطواغيت على حكمه، فهو كافر).

(من اعتقد أن غير هدي النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أكمل من هديه)، فيكفي في هذا الناقض أن يعتقد المرء ولو لم يتكلم، يكفي أن يعتقد في قلبه أن غير هدي النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أكمل من هديه.

والمراد بهدي النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: دينه، وطريقته التي سار عليها في دعوته -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وقد كان النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول في خطبة الحاجة وخطبة الجمعة: **«خير الهدي هدي محمد»** -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فأفضل هدي وأفضل طريقة في الدعوة وفي إرشاد الناس هي طريقة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فهو أكمل الناس هديًا وخُلقًا، لأن طريقته معصومة، ما ينطق عن الهوى-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

ولذلك قال الله تعالى واصفًا نبيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم: ٤]، فمن أراد أن يهتدي ويقتدي فليهتد وليقتد بنبيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فهو أكمل الناس هديًا.

ولما سُئلت عائشة -رضي الله عنها- عن هدي النبي و خُلُقِه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قالت: "كان خُلقه القرآن".

فكان النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إذا قرأ القرآن وقرأ آية وعظ كان أول الموعوظين، وإذا قرأ آية نهي كان أول المنتهين، إذا قرأ آية أمر كان أول المؤتمَرين -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وهذا معنى "كان خُلقه القرآن"، يعني كان يطبق القرآن تطبيقًا عمليًا، لا يكتفي بإقامة حروفه، وإنما كذلك يُقيم حدوده -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

فلما سُئلت عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قالت: كان خُلقه القرآن، فكان أكمل الناس هديًا في تعامله مع أهله، ومع أصحابه، بل ومع المخالف -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وشهد بذلك أولياؤه وأعداؤه.

فمن اعتقد بقلبه مجرد الاعتقاد أن هديًا غير هدي النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هو أكمل من طريقة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأهدى، فهذا يخرج من الإسلام إلى الكفر.

من الذي يلج تحت قوله: **(من اعتقد أن غير هدي النبي)**؟ من يندرج تحت قوله: **(غير)**؟ يندرج تحته كل من سوى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

فمن اعتقد أن طريقةَ وهديَ واحدٍ من الصحابة -على سبيل المثال- أهدى من طريقة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كبعض الروافض الذين يعتقدون أن طريقة علي رضي الله عنه أهدى من طريقة محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيغلون في علي بن أبي طالب جدًا، وفي الحسين رضي الله عنهما.

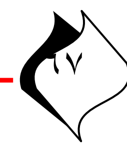
يدخل تحت قوله: **"غير"**: التابعي، فلو اعتقد أحدٌ أن تابعيًا طريقته أهدى من طريقة النبي كفر بذلك، ويدخل في ذلك كلُّ إمام من الأئمة، فلو تعصب إنسان لمالك، أو الشافعي، أو أبي حنيفة، أو أحمد، أو غير هؤلاء من الأئمة، واعتقد أن طريقة واحدٍ منهم أهدى من طريقة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فهذا يخرج من الإسلام إلى الكفر.

أو شيخ، فلو اعتقد أن طريقة شيخه أهدى من طريقة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فهذا كذلك يخرج من الإسلام إلى الكفر.

فهدي النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وطريقته هي أكمل هدي وأكمل طريقة، لماذا؟ لأن هدي النبي وحيٌ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال تعالى: **﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحيٌ يُوحَى﴾**[النجم: ٣-٤]، ولأن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- زكَّى هديه، وزكَّى طريقته -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هذه النقطة الأولى التي أراد المصنف أن يتكلم عنها.

قال: (أو أن حكم غيره أحسن من حكمه).

أي: من اعتقد، إذًا الأمر كذلك يتعلق بمجرد الاعتقاد ولو لم ينطق، من اعتقد أن حكم غيره أحسن من حكمه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ما حكمه؟ قال: **(كفر)**، لماذا؟ لأن حكم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صادرٌ عن الله، **﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوى﴾**، قال تعالى كذلك: **﴿إِنَّا أَنْزَلنا إِلَيكَ الكِتابَ بِالحَقِّ لِتَحكُمَ بَينَ النّاسِ بِما أَراكَ اللهُ﴾**[النساء: ١٠٥] لا بما ترى أنت، ولكن بما أراك الله، فحكم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قائم على ما يأتي به الوحي من قِبل الله -



تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، وكذلك اجتهاده -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مبني على إقرار الله تعالى له.

ولذلك لما كان حكمه أحسن حكم وأهدى حكم وأحكم حكم قال الله تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤمِنونَ حَتّى يُحَكِّموكَ فيما شَجَرَ بَينَهُم ثُمَّ لا يَجِدوا في أَنفُسِهِم حَرَجًا مِمّا قَضَيتَ وَيُسَلِّموا تَسليمًا﴾[النساء: ٦٥]، فلا يؤمن المرء الإيمانَ الواجب المطلوب حتى يفعل هذه الأمور، حتى يُحكِّموك فيما شجر بينهم، حتى يُحكَّم ما جاء به النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في سائر الأمور، وسيأتي أن ذلك لا يتعلق بالمعاملات فقط، ﴿ثُمَّ لا يَجِدوا في أَنفُسِهِم حَرَجًا مِمّا قَضَيتَ﴾، أي: أن يُحكِّم شرع الله، وما جاء به النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو يرضى بذلك، وهو مُسلِّم، لا يجد حرجًا في نفسه من هذا الأمر.

ولذلك أنزل الله -عَزَّ وَجَلَّ- هذه الآية في قصة رجلين، اختصما إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في سقيا أرض، الزبير بن العوام رضي الله عنه ورجل آخر، فقال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- للزبير: «اسقِ يا زبير ثم أرسِل الماء»، يعني اسقِ أولًا ثم أرسل الماء، فقال الرجل: أن كان ابن عمتك؟ يعني أن كان الزبير ابن عمتك؟ فكأنه اتهم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه حابى في الحكم، بسبب القرابة، حَكَم للزبير بسبب القرابة، فأنزل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤمِنونَ حَتّى يُحَكِّموكَ فيما شَجَرَ بَينَهُم ثُمَّ لا يَجِدوا في أَنفُسِهِم حَرَجًا مِمّا قَضَيتَ وَيُسَلِّموا تَسليمًا﴾[النساء: ٦٥]؛ لأن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ليس كغيره، فلا ينطق عن الهوى، ولا يحكم عن هوى، وإنما يحكم

بوحيٍ من الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فقال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بعد أن غضب من قول الرجل، قال: «اسقِ يا زبير ثم احبس الماء»، لا تُرسل له الماء، لماذا؟ لأنه اتهم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه جار في حكمه وأنه حكم على مقتضى الهوى لا على مقتضى الشرع.

إذًا حُكم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أحسنُ حكمٍ، وأهدى حكمٍ، فهو الذي يجب أن يُحكَّم، وهذا كما قلنا لا يختص بفرض دون فرض، أو بمكان دون مكان، أو بمعاملة دون عبادة، أو بعبادة دون اعتقاد، ولكن ينبغي أن يُحكَّم ما جاء به النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في سائر الأمور.

ولو أن الناس تركوا حكم الله وحكم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وتحاكموا لغير شرع الله لأصابهم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بالاختلاف بينهم، وكذلك بأن جعل بأسهم بينهم شديد، كما قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما في حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- عند ابن ماجه، قال: «يا معشر المهاجرين، خمس إذا ابتُليتم بهن، وأعوذ بالله أن تُدركوهن»، آخر هذه الخمس: «ولم تحكم أئمتكم بكتاب الله، ويتخيروا منه، إلا جعل الله بأسهم بينهم»، كما هو موجود الآن، البأس بين أمة الإسلام، والتناحر والتقاتل بين أبناء المسلمين، وأعداء المسلمين في مأمن من هذا الأمر، هذا يبين لنا أنه يجب أن نُحكِّم شرع الله.

ولذلك لما ذكر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- الفساد قال أهل العلم: مِن أعظم الفساد دخولًا في هذه الآية: عدم تحكيم شرع الله، أي لما قال الله تعالى في

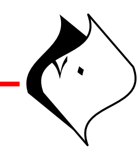
صدر سورة البقرة: ﴿وَإِذا قيلَ لَهُم لا تُفسِدوا فِي الأَرضِ قالوا إِنَّما نَحنُ مُصلِحونَ ۞ أَلا إِنَّهُم هُمُ المُفسِدونَ﴾[البقرة: ١١-١٢]

وقال تعالى: ﴿وَلا تُفسِدوا فِي الأَرضِ بَعدَ إِصلاحِها﴾[الأعراف: ٥٦]، فقال العلماء: فساد الأرض بالمعاصي، ومن أعظمها التحاكم لغير شرع الله، هو الذي يُفسد الأرض.

وقال الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿أَفَحُكمَ الجاهِلِيَّةِ يَبغونَ﴾[المائدة: ٥٠]، وهذا استفهام استنكاري من الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فلا حكم أحسن ولا أفضل من حكم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-.

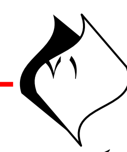
وهذا يفسر لنا الذي أصاب الأمة من كثرة الجرائم، والقتل، وانتشار الزنا، والفواحش، والمنكرات وغير ذلك، وكل هذا بسبب ما أصاب الأمة من خلل في هذا الجانب، أعني جانب تحكيم شرع الله، فلو أن شرع الله طُبِّق كما جاء به النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لتغير حال الناس.

وهذه المسألة مسألة تطبيق الشريعة كما قلنا: لا تختص بفرد دون فرد، وإنما هي واجبة على جميع الناس، واجب عليك في بيتك أن تُحكِّم شرع الله، وواجب على البائع أن يُحكِّم شرع الله، وواجب على المُبتاع أن يُحكِّم شرع الله، وواجب على من يعمل في شركة أو مؤسسة أو مدرسة أن يُحكِّم شرع الله، بل لو أن رجلًا سيقضي بين طفلين صغيرين فواجب عليه أن يحكم بما أنزل الله، وأن يحكم بشرع الله.



ولذلك من الخطأ أنه إذا ذُكِرت هذه المسألة -أعني تحكيم الشريعة- أن ينصرف الذهن فقط لتحكيم الشريعة في القضاء وفي المحاكم، أو في الدساتير، أو غير ذلك، لا، تحكيم الشريعة ينبغي أن يكون في سائر الوجوه، لا يختص بالحاكم فقط، ولو أننا نظرنا في هذه الآيات التي في سورة المائدة والتي قال الله -عَزَّ وَجَلَّ- فيها: ﴿وَمَن لَم يَحكُم بِما أَنزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الكافِرونَ﴾[المائدة: ٤٤]، ﴿وَمَن لَم يَحكُم بِما أَنزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الظّالِمونَ﴾[المائدة: ٤٥]، ﴿وَمَن لَم يَحكُم بِما أَنزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الفاسِقونَ﴾[المائدة: ٤٧].

لو نظرنا في هذه الآيات لوجدنا أنها ما نزلت في حاكم، ولكن نزلت في محكومين، فإن نفرًا من اليهود أتوا إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ليحكم بينهم في جريمة الزنا، فسألهم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «كيف تجدون الحد عندكم؟» يعني حد الزنا؟ فقالوا: أن يُجلَد الرجل وأن تُجلَد المرأة، وأن يُحمَّم، ما معنى أن يُحمَّم؟ أي أن يُجعَل على وجهه الحمم، أو الفحم، أن يُسوَّد الوجه، فقال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «هل تجدون ذلك عندكم في التوراة؟» قالوا: أجل، نجد ذلك في التوراة، فقال: ﴿ فَأتوا بِالتَّوراةِ فَاتلوها إِن كُنتُم صادِقينَ﴾[آل عمران: ٩٣]، فجاءوا بالتوراة ووضعوا أيديهم على موضع الحكم، فأمر عبد الله بن سلام -رضي الله عنه- -وكان حبراً من أحبار اليهود قبل أن يُسلم- الرجلَ أن يرفع يده، فلما رفع يده وجد الحكم: الرجم، وليس



أن تُسوَّد الوجوه كما قالوا، فقضى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بأن يُرجَم الرجل وأن تُرجَم المرأة.

إذًا صرف هذه الآيات إلى الحاكم دون المحكوم من الخطأ البيِّن.

ولذلك تجد بعض الناس يفعل ما يفعل من المعاصي، والجور في الميراث والغش في المعاملات، والقضاء بغير حكم الله، ثم بعد ذلك يُكفِّر الحكام على مقتضى هذه الآية، ونسي أو تناسى أنه داخلٌ في هذه الآية.

التفصيل في مسألة الحكم بغير ما أنزل الله

من يحكم بغير ما أنزل الله هل يكفر؟ أم هو واقع في كبيرة من الكبائر؟

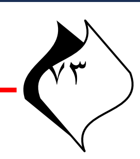
هذه المسألة فيها تفصيل، فمن رأى أن حكم غير الله يساوي حكم الله، أو أنه يجوز له أن يحكم بغير ما أنزل الله ،أي جَوَّز ذلك، أو أن حكم غير الله أفضل من حكم الله، أو استحل أن يحكم بغير ما أنزل الله، فهذا كفر يُخرج من الملة، يعني لو قال: أنا أعتقد وجوب تحكيم شرع الله، وفي نفس الوقت هذا الشرع يساوي ما شرعه المخلوقون، فهذا يكفر؛ لأنه ساوى بين حكم الله وحكم غيره من القوانين الوضعية، أو فضّل القوانين الوضعية على الشرع، أو جوّز الحكم بالقوانين الوضعية، فهذا يكفر ويخرج من الإسلام، وهذا كذلك قلنا في الحاكم والمحكوم.

وأما إن قال: يجب أن نُحكِّم شرع الله، ولكنه حكّم غير شرع الله، ويعلم أنه ظالم، وأنه مقصر، وأنه عصى الله بذلك، فهذا لا يكفر ولا يخرج من الإسلام، وكفره كفر أصغر، أو كفر دون كفر.

فلو أراد قاضٍ أن يحكم في قضية ما، فأخذ الرشوة من المحكوم عليه فحكم له على المظلوم، هذا لا يكفر، لماذا؟ لأنه حكم لهوى، وهو يعلم أنه ظالم، في قرارة نفسه يعلم أنه ظالم. هو ما قال أن هذا حكم الله، أو أنه أفضل من حكم الله، وإنما يعلم أنه ظالم، وحكم على مقتضى هذه الرشوة، فهذا لا يخرج من الإسلام، كذلك الذي يُفضّل أحد أبنائه على الآخرين، هذا حكم بغير ما أنزل الله، وهو مرتكب كبيرة من الكبائر، ولكنه لا يكفر بذلك، وهو راع على أولاده، والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: **«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»**.

إذًا الضابط في مسألة الحكم بغير ما أنزل الله أنه إن اعتقد جواز ذلك، أو فضَّل، أو ساوى، أو استحل، أو نسب حكمه المبدَّل للشرع كفر، وأما إن فعل ذلك وهو يعلم أنه ظالم، وأنه مقصر، وأنه كان ينبغي عليه أن يُحكّم شرع الله، فهذا لا يخرج من الإسلام، وإن كان واقعًا في كبيرة من الكبائر.

الحكم بغير ما أنزل الله لا يختص بالمعاملات فقط، ولكن كذلك ينبغي أن يُحكَّم شرع الله في الاعتقادات، وفي العبادات، ماذا نعني بهذا الكلام؟ في الاعتقادات أي: ينبغي أن يكون اعتقادك في ذات الله وفي أسمائه وفي صفاته وفي ألوهيته -سبحانه وتعالى- على مقتضى ما جاء في كتاب الله وفي سنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لا على مقتضى قول إمام من الأئمة، أو أحد المتكلمين، كالأشاعرة، فالأزهر -على سبيل المثال- عقيدته أشعرية، يتابعون فيها أبا الحسن الأشعري في اعتقاده الأول قبل أن يتوب وأن يرجع عنه، فهؤلاء حكموا



في المعتقد بغير ما أنزل الله، لأن هذا الاعتقاد ليس هو ما جاء به النبي الأمين- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ونقله عنه أصحابه -رضي الله عنهم-

كذلك الصوفية الذين يصرفون العبادة لغير الله، هذا حكم بغير ما أنزل الله، وبالتالي الحكم بما أنزل الله لا يختص بقطع الأيدي، ولا بجلد الزاني أو برجمه، أو بقتل من قُتِل، لا يختص بهذه الأمور فقط، وإنما أعظم منها أمور الاعتقادات.

ولذلك تجد هؤلاء ينادون بتطبيق الشريعة، وتطبيق الحدود، وهم يطوفون حول القبور يستغيثون بغير الله، ويذبحون لغير الله، فهم واقعون في الشرك الأكبر ويريدون أن يُطبقوا شرع الله في هذه الجزئية، أعني في جزئية الحدود، وحكم الله شامل، وأعظم تحكيم لشرع الله قلنا: في باب المعتقد. تجد الواحد من هؤلاء يقول: دعنا من شرك القبور، وعلينا أن نحارب شرك القصور!! شرك القصور أي أن نُزيل هذا الحاكم وأن نأتي بحاكم غيره، لماذا نأتي بغير هذا الحاكم؟ يقولون: ليطبق الشريعة، ماذا تعنون بالشريعة؟ قطع اليد، وجلد الزاني، وقتل السارق، وغير ذلك. ماذا عن الموالد البدعية؟، وماذا عن الطواف حول القبور، والبدوي، والحسين؟، هذا هو السبب الرئيس فيما نحن فيه. هذا هو سبب غضب الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وهذا أعظم، وهو شرك القبور، فتراهم لا يهتمون بمثل هذه الأمور، بل يصرفون العبادة لغير الله، ثم يقولون: نريد تحكيم شرع الله. يعالجون الجسد والرأس مريضة أو ماتت.

فالحكم بما أنزل الله لا يختص بالمعاملات، بل الجانب الأهم فيه يتعلق بصحة المعتقد.

ما موقف المحكوم من قضية الحكم بغير ما أنزل الله؟

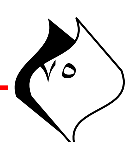
لو أنَّ المحكمة ستحكم في قضية بغير ما أنزل الله، وأنت سيُحكَم لك، ما واجبك أو ما اعتقادك الذي ينبغي أن تعتقده تجاه هذا الأمر؟

نقول: - إن رضيت بهذا الحكم - الحكم الوضعي- وأحببته لكونه حكماً وضعيا، جوزته أو فضلته أو استحللته، فهذا أمر مُخرج من الملة؛ لأنك تعلم أنه في خلاف الشرع، ومع ذلك جوزته أو فضلته أو استحللته، هذا الأمر الأول.

- إن لم ترضَ بهذا الحكم ولكنه وافق هواك، تعلم أنه خلاف الشرع، لكنك تحتاج المال الذي حُكِم لك به، أو وافق هواك وشهوتك. قد يكون هناك سبيل آخر لقضاء حاجتك، لكنك رفعت الأمر للمحكمة من أجل ما سبق ذكره، فهذا لا يكفر به وإن كان ظالمًا لنفسه، مرتكبًا كبيرة من الكبائر.

- إن أُكرهت على التحاكم لغير ما أنزل الله، لن تتحصَّل على حقك إلا من هذه الجهة، لأن الخصم صاحب قوة، وصاحب جاه، ولن يأتي لك حقك إلا عن طريق تلك المحاكم ، فلا شَيء عليك.

إذًا متى يكفر؟ إن رضي وأحب ذلك، ومتى يكون كفرًا أصغر أو معصية من المعاصي؟ لم يرضَ ولكنه وافق هواه، ووافق شهوته، يريد المال أو غير ذلك، و متى يكون لا شيء عليه؟ إن كان مُكرَهًا ولا سبيل له إلا ذلك.



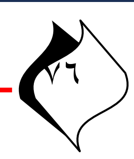
قال: (من اعتقد أن غير هدي النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذي يُفضل حكم الطواغيت على حكمه).

انظر، قال: يُفضل، أو يساوي، أو يُجوّز، أو يستحل، قلنا: بهذه الأمور يكفر، أما إن تحاكم مع علمه واعتقاده أن هذا ظلم فهذا لا يكفر، طيب.

ما المقصود بالطواغيت؟ قال: **(حكم الطواغيت)**، الطاغوت لغة: مأخوذ من الطغيان، أي الزيادة ومجاوزة الحد، وهو على وزن فلعوت، من الفعل طغى، طغى طغيانًا، فالطاغوت مأخوذ من الطغيان.

ما المراد بالطاغوت اصطلاحًا؟ أفضل من عرَّف كلمة طاغوت ابن القيم -رحمه الله- قال: **"الطاغوت: ما تجاوز به العبدُ الحدَّ، من معبودٍ، أو متبوعٍ، أو مُطاعٍ".**

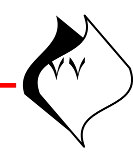
فمثلًا: هل حبُّ الأولياء والصالحون قربة ؟ نعم، حبهم قربة ودين، نتقرب إلى الله بحبهم، نُدافع عنهم، هذا هو الواجب، لكن هل هذا يعني أن نصرف العبادة لهم من دون الله؟ نشد الرحال للقبور ونذبح عندها ونطوف وننذر لها وغير ذلك؟ صاروا طواغيت بالنسبة لعابديهم، وإن تبرأوا من عابديهم يوم القيامة، لماذا؟ لأن العبد تجاوز بهم الحد، فما تجاوز به العبد الحد من معبود، أو متبوع، كشيخه، اعتقد العصمة في شيخه، يأتيه الحديث ويرد الحديث بسبب فتوى الشيخ، و كلامه ، فهذا صار طاغوتًا كذلك.



قال: أو مُطاع، كمثل الرئيس في العمل، أو كمثل الضابط، أو رئيس القبيلة أوالدولة، وغير هؤلاء من المطاعين لعلو رتبتهم على مطيعيهم. تجد بعض الناس يرتشي، ويُزور في الأوراق، ويرتكب الحرام، فإذا قلت له: هذا لا يجوز يقول لك: أنا عبد المأمور، وهذا كلام باطل؛ لأنه صيَّر رئيسه في العمل طاغوتًا، تجاوز به الحد، أنت تسمع وتطيع له فيما يُرضي الله، وأما المعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الله. لو طلب منك صاحب مدرسة أن تدخل لتغشش الأولاد في الامتحانات، فأطعته في هذا الأمر، خشية أن يغضب منك، أو أن تقل منزلتك عنده، صار طاغوتًا.

فالذي يُفضل هذه القوانين الفرنسية والبريطانية، القوانين الدخيلة على التشريع الإسلامي، يُفضلها ويرى أنها أنسب لهذا العصر من التشريع الإسلامي، هذا يكفر ويخرج من الإسلام، إن اعتقد ذلك ولو لم يحكم به، مجرد الاعتقاد، يعني لو قال: دعنا من هذا التشريع الإسلامي، ليس هذا وقته، وإنما الوقت الذي يناسب حقوق الإنسان، ويناسب التقدم هو هذه القوانين الوضعية. إن قال ذلك أو اعتقد ذلك خرج من الإسلام إلى الكفر، فلخطورة هذا الأمر جاء المصنف -رحمه الله- بهذا الناقض.

قال: (من اعتقد أن غير هدي النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذي يُفضل حكم الطواغيت على حكمه)، أي على حكم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- **(فهو كافر)**.



يرِد سؤالٌ الآن: ماذا عن المبتدعة؟ يعني هؤلاء الذين يُنشئون أذكارًا وأورادًا وصلوات تخالف صلاة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هل يكفرون بذلك؟ نقول: لا يكفرون، لماذا لا يكفرون؟ لأنهم تأولوا وظنوا أن هذا هو هدي النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لا يقولون: إن هذا الهدي غير هدي النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أو خيرٌ من هديه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وإنما يقولون: هذا هو هدي النبي والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يحب هذا الهدي، فكانوا متأولين، فلا يكفرون بمثل هذا الأمر، وإنما الذي يكفر من اعتقد أن هديًا غير هدي النبي أكمل وأحسن من هديه حتى لا نخلط في الأمور.

الناقض الخامس: من أبغض شيئًا مما جاء به الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-: **(الخامس: من أبغض شيئًا مما جاء به الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولو عمل به كفر).**

فهذا الناقض يتعلق بمسألة قلبية، وبعمل من أعمال القلوب، وهو البغض.

والبغض: شدة الكره، فهو درجة أعلى من الكره، فالذي يُبغض شيئًا ولو قليلًا مما جاء به الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حتى لو عمل به كفر إجماعًا، فهذا الناقض كما نرى يتعلق بعمل القلب.

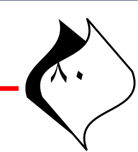
لماذا هو ناقض من نواقض الإسلام؟ لأن الذي جاء به الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وحي من قِبل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فهو يُبغض شرع الله، سواء كان ذلك قرآنًا أو سنة، لا نُفرق بين القرآن والسنة، الذي يُبغض شيئًا من القرآن، ولو آية، ولو حرفًا من القرآن، كفر، وكذلك الذي يُبغض شيئًا مما جاء به الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يجد في نفسه بغضًا وكراهية له.

والناس تجاه ما جاء به النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- **على أصناف أربعة:**

الأول:- من الناس من يحب ما جاء به النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ويعمل به، فهذا هو كامل الإيمان، الذي يحب كل ما جاء به النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من قرآن وسنة ويعمل به، كلما سمع آية عمل به، سمع حديثًا عمل به، فهذا كامل الإيمان، وهو في أعلى الدرجات.

الثاني:- ومن الناس من يحب ما جاء به النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من القرآن والسنة ولكنه يعمل ببعضه ويترك بعضه، يُقصر في الامتثال للشرع، فهذا كذلك مؤمن، ولكنه ناقص الإيمان، هو يحب الشرع، ولكن تغلبه نفسه وشهوته حينًا، فيترك بعض الصلوات، أو يفعل بعض المعاصي، فهذا لا يخرج من الإسلام، وإنما هو مؤمن ناقص الإيمان.

الثالث:- ومن الناس من يُبغض ما جاء به النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ويعمل بما جاء به، يُبغض الشرع ولكنه يعمل به، وهذا حال المنافقين. كان المنافقون على عهد النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُبغضون الشرع ولكنهم كانوا يعملون به اتقاء السيف والقتل، فكانوا يصلون، ويزكون، ويفعلون العبادات الظاهرة خشية القتل، وخشية أن يُفضَحوا، فهذا هو الصنف الثالث، يُبغض الشرع ولكنه يعمل به، وهذا لا ينفعه عمله؛ لأن المحبة هي الأصل، لا بد أن يحب ما جاء به النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فلو أحبه ولم يعمل ببعضه، فهذا معه أصل الإيمان، مؤمن، لم يخرج من الإسلام، أما لو أبغضه ولو عمل به كله، فهذا لا ينفعه؛ لأن إيمان القلب وعمل القلب من أركان الإيمان، فالإيمان قول وعمل واعتقاد، ومن العمل عمل القلب، وهذا لا بد منه، إن خلا القلب من عمل القلب فصاحبه ليس بمؤمن بالإجماع، إن خلا القلب من الخوف من الله، والخشية، والرغبة، والاستعانة، والتوكل، والمحبة وغير ذلك ، إن خلا من هذه الأمور، فصاحبه ليس بمؤمن، ولو عمل الأعمال الظاهرة.



وأما القسم الرابع:- فهو الذي يُبغض الشرع ولا يعمل به، وهذا هو الكافر.

إذًا عندنا قسم يحب الشرع ويعمل به، هذا مؤمن كامل الإيمان.

يحب الشرع ويعمل ببعضه ويترك بعضه، هذا ناقص الإيمان.

يُبغض الشرع ولكنه يعمل به، هذا منافق.

يُبغض الشرع ولا يعمل به، فهذا كافر.

الذي يُبغض شيئًا ولو قليلًا مما جاء به النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ما حكمه؟ قال: **(كفر)**، يعني خرج من الإسلام إلى الكفر، ما الدليل على ذلك؟ قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: **﴿ذلِكَ بِأَنَّهُم كَرِهوا ما أَنزَلَ اللهُ فَأَحبَطَ أَعمالَهُم﴾**[محمد: ٩]، العلة: أنهم كرهوا، وهذه درجة أقل من البغض، البغض أشد، **﴿كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللهُ فَأَحبَطَ أَعمالَهُم﴾**، ما معنى **﴿فَأَحبَطَ أَعمالَهُم﴾**؟ يعني أبطلها، والذي يُبطل الأعمال الردة، والكفر، والخروج من الإسلام، فدل ذلك على أن بغض شيء مما جاء به النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُحبط العمل؛ لأن من أصل الإيمان محبة ما جاء به النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

إذًا الواجب على المؤمن: أن يحب كل ما جاء به النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حتى ولو قصر في بعضه؛ لأن الله تعالى يقول: **﴿فَلا وَرَبِّكَ﴾** هذا قَسَم من الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- **﴿لا يُؤمِنونَ حَتّى يُحَكِّموكَ فيما شَجَرَ بَينَهُم﴾**، الإنسان قد يُحكِّم، يجلس في جلسة تحكيم ويحكم بكتاب الله وبسنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- **﴿حَتّى يُحَكِّموكَ فيما شَجَرَ بَينَهُم ثُمَّ لا يَجِدوا في أَنفُسِهِم حَرَجًا**

﴿مِمّا قَضَيتَ﴾ لا يُبغض ذلك، ولا يكرهه، ولا يجد حرجًا في قلبه من ذلك، ﴿وَيُسَلِّموا تَسليمًا﴾[النساء: ٦٥]، يرضى بقضاء الله وقضاء رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقال تعالى: ﴿وَما كانَ لِمُؤمِنٍ وَلا مُؤمِنَةٍ إِذا قَضَى اللهُ وَرَسولُهُ أَمرًا أَن يَكونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِن أَمرِهِم وَمَن يَعصِ اللهَ وَرَسولَهُ فَقَد ضَلَّ ضَلالًا مُبينًا﴾[الأحزاب: ٣٦]، فهذا حال المؤمن، يحب ويعمل.

وأما حال الكافر: فإذا جاءه الشرع قال: حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا، ما ألفينا عليه آباءنا.

وأما المنافق: ﴿وَإِذا قيلَ لَهُم تَعالَوا إِلى ما أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسولِ رَأَيتَ المُنافِقينَ يَصُدّونَ عَنكَ صُدودًا﴾[النساء: ٦١]، يردون ذلك، ولا يحبونه، وإنما يُبغضون شرع الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- كما قال تعالى ﴿ لَقَدِ ابْتَغَوُا الفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ الله وَهُمْ كَارِهُونَ﴾

قلنا: المحبة تكون لكتاب الله، ولسنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

نجد بعض الناس خاصةً في جانب السنة، إذا جاءت السنة بما لا يوافق هواه قد يجد في نفسه بعض الحرج، الذي -عياذًا بالله- قد يُخرجه من الإسلام إلى الكفر دون أن يدري، كمثل من؟ كمثل نفاة الصفات مثلًا، الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ذكر أن له أسماء حسنى وصفات عُليا في كتابه، وكذلك رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

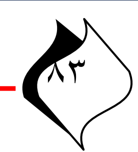
الواجب على المؤمن أن يُسلِّم، فإذا قال الله إن من أسمائه الحكيم، العليم، الخبير، يُثبت هذه الأسماء لله -سبحانه وتعالى- وإذا وصف الله نفسه

بالرحمة، والرأفة، والغضب، والكره، والفرح، وغير ذلك، فإننا نُثبت ذلك لله، ﴿لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّميعُ البَصيرُ﴾[الشورى: ١١]، طيب.

بعض المبتدعة نفوا صفات الله، وجعلوا النفي هو الأصل في وصف الله تعالى، فقالوا: إن الله ليس له يدان، وليس له سمع، ولا يفرح، ولا يجيء يوم القيامة، ولا يغضب، ولا يكره، نفوا صفات الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فهؤلاء عند ذكر الأحاديث أو الآيات التي فيها هذه الصفات يجدون حرجًا في صدورهم.

يقول ابن القيم في وصف حالهم وحال من شابههم ممن يجد في صدره حرجًا من تلك النصوص كما في المدارج:" **ثقلت عليهم النصوص فكرهوها، وأعياهم حملها فألقوها عن أكتافهم ووضعوها، وتفلتت منهم السنن أن يحفظوها فأهملوها، وصالت عليهم نصوص الكتاب والسنة فوضعوا لها قوانين ردوها بها ودفعوها، وقد هتك الله أستارهم، وكشف أسرارهم، وضرب لعباده أمثالهم، وأعلم أنه كلما انقرض منهم طوائف خلفهم أمثالهم، فذكر أوصافهم، لأوليائه ليكونوا منها على حذر، وبينها لهم، فقال {ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم} [محمد: ٩] .**

هذا شأن من ثقلت عليه النصوص، فرآها حائلة بينه وبين بدعته وهواه، فهي في وجهه كالبنيان المرصوص، فباعها بمحصل من الكلام الباطل، واستبدل منها بالفصوص فأعقبهم ذلك أن أفسد عليهم إعلانهم وإسرارهم {ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم -



فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم - ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم} [محمد: ٢٦ - ٢٨] .

أسروا سرائر النفاق، فأظهرها الله على صفحات الوجوه منهم، وفلتات اللسان، ووسمهم لأجلها بسيماء لا يخفون بها على أهل البصائر والإيمان، وظنوا أنهم إذ كتموا كفرهم وأظهروا إيمانهم راجوا على الصيارف والنقاد، كيف والناقد البصير قد كشفها لكم؟ {أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم - ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم} [محمد: ٢٩ - ٣٠] " انتهى كلامه رحمه الله.

أأنتم أعلم أم الله؟ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أعلم بنفسه من غيره، ورسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أعلم الخلق به، هو أخبرنا عن نفسه أن له صفات وأسماءً، وكذلك رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نقول: سمعنا وأطعنا ونصدق الخبر، ونُثبت الأسماء والصفات على الوجه اللائق بالله -سبحانه وتعالى-.

ولذلك ذكروا عن الجهم بن صفوان أنه كان إذا قرأ القرآن لا يُثبت استواء الله على عرشه.

الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- قال في القرآن في سبعة مواضع، ﴿الرَّحمنُ عَلَى العَرشِ استَوَى﴾[طه: ٥]، ولذلك لو سُئلت: أين الله؟ قل: ﴿الرَّحمنُ عَلَى العَرشِ استَوَى﴾، الله مستوٍ على عرشه بذاته -سبحانه وتعالى- عالٍ على خلقه، أي: علا وارتفع ومعنا في كل مكان بعلمه، وسلطانه، وقدرته، وسمعه، وبصره، فهذا الجهم كان ينفي الاستواء، يقول: الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ليس

مستويًا على عرشه، فكان إذا قرأ هذه الآيات التي تُثبت استواء الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- على عرشه كان يكره ذلك جدًا، حتى إنه يومًا ما قال: وددت لو حككت هذه الآيات من المصحف! يود أن يحك هذه الآيات وأن يزيلها من المصحف، لماذا؟ لأنه أبغضها لمخالفتها هواه.

كذلك القدرية، الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أخبرنا أنه خلق كل شيء فقدره تقديرًا، وأخبر أنه له علم أزلي -سبحانه وتعالى- وأنه قدَّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء، علمه أزلي، وكتب كل ذلك في اللوح المحفوظ، ثم شاء خَلْقَنا فخَلَقَنا -سبحانه وتعالى- فكل ما يجري في هذا الكون يجري على مقتضى علمه وكتابته ومشيئته.

القدرية الغلاة قديمًا كانوا ينفون علم الله السابق في العبد، يقولون: الله لا يعلم الأشياء إلا بعد أن تقع، ويقيسون الخالق على المخلوق، وكان من هؤلاء عمرو بن عبيد القدري.

ونحن نعلم حديث النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الذي يرويه عبد الله بن مسعود: حدثني الصادق المصدوق -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«إن أحدكم يُجمَع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يُرسَل إليه ملك، فينفخ فيه الروح، ويُؤمَر بكتب أربع كلمات: بكتب عمره، وعمله، ورزقه، وشقي أم سعيد»**، إذًا كل هذا سيُكتَب قبل أن يُولَد، صحيح؟ فهذا فيه تقدير سابق، فعمرو بن عبيد القدري المبتدع هذا الذي

كان ينفي علم الله السابق ماذا كان يقول؟ يقول: لو سمعت هذا الحديث من الأعمش -أحد رواة الحديث الذي رواه عن ابن مسعود- لرددته عليه ، ولو سمعت ابن مسعود يروي هذا الحديث لرددته عليه، ولو سمعت رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يروي هذا الحديث لرددته عليه، ولو سمعت الله يقول هذا الحديث لقلت: ما على هذا أخذت علينا الميثاق ولرددته عليه، عياذًا بالله، لماذا؟ لأنه اعتقد أولًا، فإذا جاء في القرآن والسنة ما يخالف اعتقاده أبغض ذلك.

كذلك أصحاب الثورات والخوارج ودعاة الفتنة، إذا سمعوا الأحاديث التي تتكلم عن السمع والطاعة والصبر على جور ولاة الأمر الظلمة يجدون من ذلك حرجًا في صدورهم، بل ربما استهزأ بعضهم بحديث النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيقول الأبعد: الجماعة بتوع: **«وإن جلد ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع واصبر»**، ربما استهزأ بعضهم بمثل هذه الأحاديث، ويكره سماعها.

كذلك أصحاب الحريات المزعومة، حرية المرأة، إذا سمعوا الأحاديث التي تُحرم الاختلاط، وتُحرم تبرج المرأة، وتدعو إلى الحجاب، يقولون: هذه رجعية، وهذا تخلف، ويُبغضون مثل هذه الأحاديث، فكل هؤلاء يجدون في صدورهم حرجًا مما جاء به النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

ولذلك على الإنسان أن يوطن نفسه على محبة كل ما جاء به النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لماذا؟ لأن هذا وحي من قِبل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ﴿وَما يَنطِقُ عَنِ الهَوى * إِن هُوَ إِلّا وَحيٌ يوحى﴾[النجم: ٣-٤].

إشكال: قلنا إن كره شيئًا مما جاء به النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هذا كفر، والله -عَزَّ وَجَلَّ- يقول في القرآن: ﴿كُتِبَ عَلَيكُمُ القِتالُ وَهُوَ كُرهٌ لَكُم وَعَسى أَن تَكرَهوا شَيئًا وَهُوَ خَيرٌ لَكُم وَعَسى أَن تُحِبّوا شَيئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُم وَاللهُ يَعلَمُ وَأَنتُم لا تَعلَمونَ﴾[البقرة: ٢١٦]، يخاطب المؤمنين، يقول: ﴿كُتِبَ عَلَيكُمُ القِتالُ وَهُوَ كُرهٌ لَكُم﴾، هل المؤمن يكره القتال؟ نعم يكره القتال، في المؤمنين من هو جبان[١]،لا يحب الإقدام ، فهل كرهه للجهاد والقتال هذا يُخرجه من الإسلام إلى الكفر؟ لا يُخرجه من الإسلام إلى الكفر، لماذا؟ لأن الكراهة هاهنا كراهة نفسية لا دينية، هذا من طبعه، الإنسان من طبعه أنه يكره الموت، صحيح؟ إذًا الكره هنا لا يرجع إلى الدين، لا يرجع إلى ما جاء به النبي الأمين -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وإنما يرجع إلى طبيعة النفس، فهذا لا يخالف، ولو وقع فيه صاحبه فإنه لا يُخرج من الإسلام إلى الكفر، إنما الذي يُخرجه بغض الشيء لأن النبي هو الذي جاء به -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

---

[١])- الحديث الوارد في ذلك لا يصح مع شهرته بين الناس فتنبه.

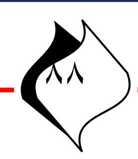
الناقض السادس: من استهزأ بشيء من دين الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

قال رحمه الله: (من استهزأ بشيء من دين الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أو ثواب الله أو عقابه كفر).

هذا الناقض يكثر التساهل فيه والغفلة عن خطورة الوقوع فيه. الناقض السابق ناقض قلبي؛ لأنه يُبغض ولو لم يتكلم، هذا مجرد بُغض موجود في القلب، قد يصلي معك وهو يُبغض الصلاة -عياذًا بالله- فهذا عمل قلبي، أما هذا الناقض فعملٌ لساني، أو عملٌ بالجوارح، قد يكون هذا الاستهزاء بالإشارة، ذكرت له حديثًا أو آية فحرَّك يده، أو مط شفتيه، أو أخرج لسانه، هذا استهزاء، أو تكلم بلسانه.

قال: (فمن استهزأ) أي: تنقَّص **(بشيء)** ولو قليل **(من دين الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-)**، دين الرسول الذي هو الإسلام، وهذا يشمل القرآن والسنة، **(أو ثواب الله)**، الجنة وما فيها من النعيم، والحور العين، وغير ذلك، فاستهزأ بهذه الأمور، **(أو عقابه)**، فقال: يقولون لكم: إن في النار حيّات، وإن فيها عَذابًا، وإن فيها شجرة طلعها كأنه رؤوس الشياطين، ثم يَضحَك، يستهزئُ بذلك، فهذا كافر -عياذًا بالله-.

فالذي يستهزئ بما أنزل الله، أو بشيء مما جاء به النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولو كان من السنن والمستحبات، فليس شرطًا أن يكون فريضة، بل لو



كان من السنن والمستحبات، كالسواك، وقص الشارب، وتقليم الأظافر، وغير ذلك، أمور يسيرة جدًا في الشرع، لو استهزأ بها كفر -عياذًا بالله- طيب.

ما الدليل على ذلك؟ لا بد من دليل، قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿وَلَئِن سَأَلتَهُم﴾، يعني المنافقين ﴿لَيَقولُنَّ إِنَّما كُنّا نَخوضُ وَنَلعَبُ قُل أَبِاللهِ وَآياتِهِ وَرَسولِهِ كُنتُم تَستَهزِئونَ * لا تَعتَذِروا قَد كَفَرتُم بَعدَ إيمانِكُم﴾[التوبة: ٦٥-٦٦].

الله -عَزَّ وَجَلَّ- يقول: ﴿وَلَئِن سَأَلتَهُم﴾، ولئن سألت المنافقين ﴿لَيَقولُنَّ إِنَّما كُنّا نَخوضُ وَنَلعَبُ﴾، هذه الآية لها سبب نزول، وهو مما يعين على فهم المراد، وهو: أن جماعةً خرجوا للجهاد مع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في غزوة تبوك، وبينما هم في الطريق جلسوا، وأرادوا أن يقطعوا هذا السفر الطويل بشيء من المزاح، وأن يخوضوا في أي حديث، فقال بعضهم لبعض: ما رأينا أكذب ألسنًا ولا أرغب بطونًا ولا أجبن عند اللقاء من هؤلاء، يعنون أصحاب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، وكان يجلس بجوارهم شاب من الصحابة، وهو عوف بن مالك -رضي الله عنه- فلما سمع ما قالوا اغتاظ من الكلام، وقال: كذبتم والله، لأخبرن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقام وانطلق إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فوجد الوحي قد سبقه، وهذا يدل على سعة علم الله -سبحانه وتعالى- الوحي أخبر نبينا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قبل أن يصل إليه عوف بن مالك، والمسافة يسيرة جدًا، وهذا يدل على سعة علم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وأن الله بكل شيء عليم، فوجد الوحي قد سبقه،

وأخبر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فعلم هؤلاء أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قد علم خبرَهم، فجاء القوم يعتذرون والواحد منهم يتعلق بنسعة ناقة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- النسعة: الرباط الذي يكون حول بطن الناقة، يُمسك بنسعة أي: برباط ناقة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والحجارة تنكب قدميه، يعني يتعلق بنسعة الناقة هكذا، والحجارة تضرب قدميه، وهو يقول: يا رسول الله: إنما كنا نخوض ونلعب، والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لا يلتفت إليه، يا رسول الله، إنما كنا نتحدث حديث الركب، نقطع به عناء السفر، ما قصدنا الاستهزاء، ما قصدنا إلا المزاح، والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لا يلتفت إليهم وإنما يقرأ قول الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم لَيَقولُنَّ إِنَّما كُنّا نَخوضُ وَنَلعَبُ قُل أَبِاللهِ وَآياتِهِ وَرَسولِهِ كُنتُم تَستَهزِئونَ * لا تَعتَذِروا قَد كَفَرتُم بَعدَ إيمانِكُم﴾[التوبة: ٦٥-٦٦]، فنزلت هذه الآية مُكفِّرةً هؤلاء.

فدل ذلك على أن الاستهزاء بالله، أو بدينه، أو بكتابه، أو بنبيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ردة، وخروج من الإسلام إلى الكفر؛ لأن الاستهزاء لا يُجامع قلبًا رسخ فيه التوحيد، الاستهزاء بشيء مما جاء به النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هذا لا يُجامع قلبًا رسخ فيه التوحيد، بل لا يُجامع قلبًا فيه أصل الإيمان ؛ لأن التوحيد موافقة، والاستهزاء معارضة، هكذا قال علماؤنا.

فالذي يستهزئ بدين الله، والذي يسب دين الله، يقول: يلعن، ويسب الدين، أو يسب الله، أو يسب الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سواء كان جادًا، أو هازلًا، يمزح مع صاحبه كما نرى من بعض الشباب، يمزح، ليلعب

وليضحك غيره، هذا كفر، ولا يُعلَّق كفره على القصد، لا يُسأل: هل كان يريد الاستهزاء أم لا؟ يكفر بمجرد النطق بهذه الكلمة، لأننا قلنا: من النواقض ما يتعلق بالاعتقاد، مجرد الاعتقاد، حتى ولو لم ينطق، ومن النواقض ما يتعلق باللسان، مجرد الكلمة، لا يُنظَر إلى قلبه، ومن النواقض ما يتعلق بالفعل، لا يُنظَر للاعتقاد، كالذي يمسك المصحف يمزقه، أو يطأه بقدمه، أو يلقيه في الخلاء، هذا يكفر بمجرد فعله، لا يُقال: لا بد أن ننظر في قصده، هذا يكفر بمجرد الفعل، ومن النواقض ما يتعلق بالشك.

فالنواقض مدارها على أصول أربعة: قول، وفعل، واعتقاد، وشك، وهذه النواقض العشرة قامت على هذه الأربعة، وكل نواقض الإسلام التي أوصلها بعضهم إلى أربعمائة ناقض تقوم على هذه الأربعة.

إذًا الذي يسب الدين يكفر بمجرد الكلمة، ولا يُنظَر إلى اعتقاده، تجد بعضهم يسب الدين، فإذا زجرته وبينت له خطورة الأمر يقول لك: آسف يا عم الشيخ، كأن عم الشيخ هذا معه صك الغفران، كالنصارى، يقول آسف، ويقول الشيخ: تاب الله عليك!! ليس الأمر بهذا اليسر، لماذا تعتذر لشيخ؟! لا بد أن يجدد هذا السابُّ إيمانه ويصححه، هذا خرج من الإسلام، لو لم يتب إلى الله وظل يصلي هكذا ويحج دون أن يتوب من هذا الفعل لا ينفعه عمله؛ لأنه خرج من الإسلام إلى الكفر، لا بد أن ينطق الشهادتين، وأن يعود إلى الإسلام مرة ثانية؛ لأنه كفر بالله العظيم، فهذا كفر.

الاستهزاء كما قلنا يكون بالقول، ويكون بالإشارة، ذُكِرت له آية فأشار هكذا كأنه يتنقصها أو يستهزئ بها، أو حديثًا لرسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

الله -عَزَّ وَجَلَّ- ذكر عن المنافقين أو عن المجرمين الكافرين ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجرَموا كانوا مِنَ الَّذينَ آمَنوا يَضحَكونَ * وَإِذا مَرّوا بِهِم يَتَغامَزونَ﴾[المطففين: ٢٩-٣٠]، أي يتنقصون المؤمنين لإيمانهم، فالذي يتنقص المؤمنين لإيمانهم هذا كافر، الذي يتنقص الصحابة لصحبتهم لرسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هذا كافر.

قلنا: كل هذا يتعلق باللسان، ولا يُنظَر فيه إلى القلب.

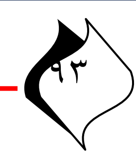
ولذلك قال الشيخ الفوزان -حفظه الله- قال: **"هذا دليل على أن من سب الله، أو رسوله، أو كتابه، أو شيئًا من القرآن، أو شيئًا من سنة الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه يرتد عن الإسلام، وإن كان يمزح، وأين الذين يقولون أنه لا يرتد إلا إذا نوى من قلبه؟!"، هذا كلام باطل، كلام المرجئة، فلو سب الله أو الرسول أو القرآن ما نحكم عليه إلا إذا اعتقده!! ما نحكم عليهم بمجرد التكلم أو التلفظ أو الفعل!! من أين أتوا بهذا الكلام وهذا القيد؟ الله حكم عليهم بالردة، وهم يقولون: كنا نخوض ونلعب"** طبعًا الآية فيها خلاف، هل هؤلاء الذين قالوا ذلك كانوا مؤمنين؟ كانوا من الصحابة ثم ارتدوا؟ أم هم في الأصل منافقون؟ أكثر أهل العلم على أنهم منافقون؛ لأن السورة من أولها إلى آخرها سورة براءة نزلت في المنافقين، ولا يقول هذا رجل مؤمن.

يستثنى من ذلك حالة واحدة: إلا إن كان مُكرهًا، أي لا يكفر إن كان مُكرهًا، مع الأخذ في الاعتبار أن الإكراه يتعلق باللسان والفعل، لا يتعلق بالقلب؛ لأن القلب لا سبيل لأحد عليه، كما قال الشنقيطي -رحمه الله- يعني لا يستطيع أحد أن يُكرهك على بغض الرسول، أو بغض القرآن والسنة، وإنما يُكرهك على أن تقول، كما أكرهوا عمار بن ياسر، أكرهوه على أن يتكلم في رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأن يسبه، فوقع عمار في رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فذهب عمار إلى النبي وذكر له حاله، فقال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«كيف تجد قلبك يا عمار؟»**، قال: مطمئنًا يا رسول الله، قال: **«إن عادوا فعُد»**، لأنه مُكرَه، **«إن عادوا فعُد»**، ولو صبر المرء فهذا أفضل، كما هو حال بلال رضي الله عنه.

ولذلك العلماء يقولون: حال بلال أفضل من حال عمار؛ لأن بلالا كان يُعذَّب في الصحراء، تُوضَع الصخرة على صدره، ويُجَر في الرمضاء في شدة الحر، ومع ذلك يقول: أَحَدٌ أَحَدٌ، ولو أجد كلمة هي أغيَظ من هذه الكلمة لقلتها، وصبر -رضي الله عنه- فكان بلال أفضل من عمار رضي الله عنهما وعن سائر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

فلو تعرض المرء للإكراه على النطق بكلمة الكفر فنطقها وقلبه مطمئن فهذا لا يضره.

كذلك الفعل، لو أُكره المرء على فعل كفري وقلبه مطمئن فهذا لا يضره، يعني أكرهوه على السجود للصنم، أو الطواف حول القبر، أو على أي



فعل، لو أكرهوه على أي فعل كفري وقلبه مطمئن، فهذا كذلك لا يضره، وإنما الذي يضر إن فعل ذلك جادًا، قاصدًا، هازلًا، مستهزئًا، مازحًا، غير مُكرَه، لو فعل هذه الأمور بقيد من هذه القيود فهذا يخرج من الإسلام إلى الكفر.

الناقض السابع: السحر

قال الإمام المجدد -رحمه الله-: **(السابع: السحر، ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به كفر، والدليل: قوله تعالى: ﴿وَما يُعَلِّمانِ مِن أَحَدٍ حَتّى يَقولا إِنَّما نَحنُ فِتنَةٌ فَلا تَكفُر﴾)**.

هذا الناقض هو: السحر، والسحر كبيرة من أكبر الكبائر.

ولذلك لما عدّد النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- السبع الموبقات ذكر منها: السحر.

وهو في اللغة: عبارة عما خفي ولطف سببه، الأمر الخفي يسمى سحرًا.

ولذلك جاء في حديث رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«إن من البيان لسحرًا»**.

بعض الناس قد يتكلم كلامًا يقلب الحق باطلًا، والباطل حقًا، لحلاوة منطقه، وعذوبة لسانه.

وكذلك وقت السَحَر، الذي يكون في آخر الليل، سُمي سَحرًا لأنه يقع خفيًا آخر الليل.

وأما السِّحر في الاصطلاح: فهو عبارة عن عزائم ورُقى وعُقد، تؤثر في القلوب والأبدان بإذن الله، عبارة عن عزائم ورُقى وعُقد ونفث، هذه الأمور تؤثر في القلوب، فتحول القلوب من الحب إلى البغض، ومن البغض إلى الحب، وتوثر في الأبدان، فقد تُمرض الأبدان، بل قد تُميت الأبدان -عياذًا بالله- ولكن كل ذلك بإذن الله، إذا شاء الله أن يقع هذا الأمر وقع، وإلا لا يؤثر،

كما قال الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَمَا هُم بِضارّينَ بِهِ مِن أَحَدٍ إِلّا بِإِذنِ اللَّهِ﴾، فإذا شاء الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ذلك وقع المكروه فيمرض العبد، ويُقتَل، ويُفرَّق بينه وبين زوجه، كما جاء في كتاب الله -سبحانه وتعالى-.

السحر له حقيقة

والسحر له حقيقة، بعض الناس يقول: ما في شيء اسمه سحر، أنا لا أؤمن بالسحر، ولا أؤمن بدخول الجن جسد الإنسان، ويُكذب القرآن والسنة، أما السحر فله حقيقة، وله تأثير، ودل على ذلك أمور كثيرة جدًا.

أما القرآن: فقد قال الله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمونَ مِنهُما ما يُفَرِّقونَ بِهِ بَينَ المَرءِ وَزَوجِهِ﴾، فالسحر يُفرق بين الرجل وزوجته، فهذا يدل على أن له حقيقة، وله تأثير، قال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضارّينَ بِهِ مِن أَحَدٍ إِلّا بِإِذنِ اللَّهِ﴾، فهذا يدل على أنه قد يضر، ولكن الأمر أولًا وأخيرًا بإذن الله -سبحانه وتعالى-.

قال الله تعالى: ﴿قُل أَعوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ * مِن شَرِّ ما خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غاسِقٍ إِذا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفّاثاتِ فِي العُقَدِ﴾[الفلق: ١-٤]، ما النفاثات في العقد؟ السواحر، ينفثن في العقدة، تعقد الواحدة منهن العقدة ثم بعد ذلك تُتمتم بكلمات وتنفث من ريقها على هذه العُقد، فيتم السحر، ولذلك أمرنا الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أن نستعيذ منهن، ﴿وَمِن شَرِّ النَّفّاثاتِ فِي العُقَدِ﴾.

وأما سنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- التي دلت على أن السحر له تأثير وله حقيقة: فمنها قول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «من تصبَّح»، يعني من أكل صباحًا، «من تصبَّح سبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سم ولا

سحر»، فالذي يأكل كل يوم صباحًا سبع تمرات من العجوة لم يضره في ذلك اليوم لا سم ولا سحر، فالأمر كله كما قلنا بإذن الله -سبحانه وتعالى-.

كذلك الواقع يشهد بذلك، فلو نظرنا لحال الناس لوجدنا من الناس من أُصيب بالسحر، من فُرِّق بينه وبين زوجه، من صارت تُبغض زوجها، من صُرفت عن زوجها، فهذا له تأثير واضح بين الناس.

ولذلك قال الشيخ حافظ حكمي:

والسحر حق وله تأثيـــر لكـــن بمـــا قدَّره القديـــر

أعني بذا التقدير ما قد قدَّره في الكون لا في الشرعة المطهرة

يعني السحر حق وله تأثير، ولكن هذا التأثير بتقدير الله -سبحانه وتعالى الكوني القدري المرادف لمشيئته لا الشرعي المقتضي لمحبته-.

والسحر أنواع:

أما النوع الأول: فهو الذي يُستعَان فيه بالجن، يستعين فيه السحرة بالجن، ولا يكون ذلك إلا بالكفر بالله، فالجن لا يعين المرء إلا إذا كفر بالله، كأن يُمزق المصحف، أو أن يستنجي به ويهينه، أو أن يقرأ الآيات بخلاف ترتيب المصحف على سبيل اللعب والاستهزاء، أو أن يتقرب إلى الجن بذبح شيء، أو تقديم قربان، أو سجود، أو غير ذلك مما يكفر به بالله، فإذا كفر بالله صار الجن خادمًا له.

فهذا النوع الأول من السحر، وهو شر أنواع السحر، وهذا كفر بالاتفاق، والذي يتوصل للاستعانة بالجن وخدمتهم بمثل هذه الأمور هذا كافر.

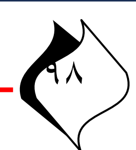
والنوع الثاني: وهو سحر التخييل، ومنه ما كان يقوم به بنو إسرائيل، ﴿يُخَيَّلُ إِلَيهِ مِن سِحرِهِم أَنَّها تَسعى﴾[طه: ٦٦]، فكانوا يقومون بسحر التخييل، **سحروا أعين الناس واسترهبوهم**، سحر يقع على الأعين، فيُخيَّل للأعين أن هذه الجدران تتحرك، ينضم بعضها إلى بعض، أن هذه العصا تنقلب حية، هذا يسمى بسحر التخييل، وهذا كذلك فيه استعانة بالجن.

والنوع الثالث: وهو سحر الأدوية، وهو أن يقوم المرء بتركيب بعض الأدوية، ثم يتم أكل هذه الأدوية، تُوضَع في الطعام، أو شراب فتؤثر في الجسد، بلا استعانة فيه بالجن، ولكن له تأثير خفي، ولذلك سُمي سحرًا، وإن لم يكن سحرًا فيه الاستعانة بالجن.

وهذا النوع هو الذي قال فيه الشافعي: **"نقول للساحر: صف لنا سحرك، فإن وصف ما يوجب الكفر -يعني الاستعانة بالجن- كفر، وإلا لا يكفر"**، يعني هذا النوع وهو الاستعانة بالأدوية، وهذا أدخله في السحر مجازًا، وإلا فليس بسحر، لأن السحر حقيقة هو الذي فيه استعانة بالجن.

كُفرُ الساحر

هل الساحر يكفر؟ وهل السحر ردة يخرج به المرء إن كان مسلمًا من الإسلام إلى الكفر؟ نعم، السحر كفر، دل على ذلك آيات من كتاب الله، كفَّرت الساحر من ستة أوجه، وقد بيَّن الشيخ حافظ الحكمي -رحمه الله- في كتابه **(المعارج)** أن هذه الآيات دلت على كفر الساحر من ستة أوجه واضحة بينة.



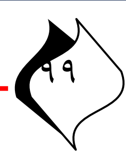
قال الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَلَمّا جاءَهُم رَسولٌ مِن عِندِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُم نَبَذَ فَريقٌ مِنَ الَّذينَ أوتُوا الكِتابَ كِتابَ اللهِ وَراءَ ظُهورِهِم كَأَنَّهُم لا يَعلَمونَ﴾[البقرة: ١٠١]، هذه الآية الأولى، وفيها دلالة على أن السحر لا يعمل إلا مع نبذ الكتاب والكفر به، السحر لا يعمل ولا يكون الشيطان طوعًا لصاحبه إلا إذا نبذ الكتاب وراء ظهره وكفر به.

قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعوا ما تَتلُو الشَّياطينُ عَلى مُلكِ سُلَيمانَ﴾، فالانقياد للشيطان والعمل بما يُمليه على الساحر عِوضًا عن الوحي من عبادة الطاغوت الذي هو أصل الكفر، عبد الشيطان من دون الله، ﴿وَاتَّبَعوا ما تَتلُو الشَّياطينُ عَلى مُلكِ سُلَيمانَ﴾.

قال تعالى: ﴿وَما كَفَرَ سُلَيمانُ وَلكِنَّ الشَّياطينَ كَفَروا﴾، فلما برَّأ الله سليمان من السحر الذي هو هنا تعلم السحر والعمل به، دل ذلك على أن متعلمه ومتعاطيه كافر، كما قال ﴿وَلكِنَّ الشَّياطينَ كَفَروا﴾.ما علة الكفر؟ ﴿يُعَلِّمونَ النّاسَ السِّحرَ﴾، فهذا بيَّن علة الكفر، وهي تعليم السحر، فإن عمل به فهو كفر على كفر، يعني مجرد تعلم السحر كفر، مجرد تعليمه للناس كفر، فإن عمل به سحر به فهذا كفر على كفر، طيب.

من الذي يُعلِّم السحرة الكفر؟ الشياطين، فالسحرة تلاميذ الشياطين.

قال تعالى: ﴿وَلَقَد عَلِموا لَمَنِ اشتَراهُ ما لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن خَلاقٍ﴾[البقرة: ١٠٢]، ما المقصود بالخلاق؟ **المقصود بالخلاق**: النصيب، وهذا القول من الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ﴿مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن خَلاقٍ﴾، لا يُطلَق



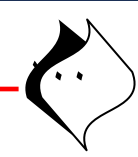
على المؤمن، وإنما يُطلَق على من كفر، يقال فقط فيمن كفر، الذي لا بقاء للإيمان معه، ما له في الآخرة من نصيب، فالساحر إن مات ولم يتب جاء يوم القيامة ولا نصيب له، ولا خلاق له، وكان من أهل النار المخلدين فيها.

السادس: قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿وَلَو أَنَّهُم آمَنوا وَاتَّقَوا لَمَثوبَةٌ مِن عِندِ اللهِ خَيرٌ لَو كانوا يَعلَمونَ﴾[البقرة: ١٠٣]، أي: لو أنهم آمنوا بمحمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وما أُنزل إليه، واتقوا السحر وسائر الذنوب، لكان خيرًا لهم، وهذا من أصرح الأدلة على كفر الساحر، ونفي الإيمان بالكلية عنه، فإنه لا يقال للمؤمن: لو أنه آمن واتقى، هو مؤمن، كيف يقال في حقه: لو أنه آمن واتقى، فدل ذلك على أن السحر كفر.

وقد جاءت الكثير من الأحاديث والآيات التي تبين لنا -كما قلنا- كفر الساحر، ومن ذلك: ما جاء عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال: **«اجتنبوا السبع الموبقات»**، ما معنى الموبقات؟ المُهلكات.

فذكر منها النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- السحر، فهذا يُهلك في الدنيا والآخرة.

وقد جاء عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال: **«حد الساحر ضربه بالسيف»**، يضربه ولي الأمر، يقطع رأسه، وهذا ثابت عن كثير من أصحاب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من قولهم ومن فعلهم، قتلوا السحرة، الذين يسحرون الناس.



وكتب عمر -رضي الله عنه- قبل موته بسنة: "**اقتلوا كل ساحر وساحرة**"، قال الراوي: فقتلنا ثلاث سواحر، وهذا كان قبل موت عمر بسنة -رضي الله عنه-.

وقال أبو موسى -رضي الله عنه- عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن خمر، وقاطع رحم، ومصدق بالسحر»**.

وقال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«الرقى والتمائم والتولة شرك»**، ما المقصود بالرقى؟ الرقى عوذة تكون بالكلام، آتي على إنسان وأضع يدي على رأسه، وأقول: بسم الله أرقيك، أو أقرأ المعوذتين، أو أقرأ الإخلاص، هذه جائزة، بل هذه سنة، هذه رقية مشروعة، فعلها النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وفُعلت له -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأقرها وندب إليها.

وهذه لا تدخل في قول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **الرقى شرك**، وإنما قصد النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الرقى الشركية.

فبعض الناس – مثلاً- كلما ذهب إلى فتاة ليخطبها رفضت، أو لا يتم الأمر، فيظن أن به سحرًا، فيذهب إلى الساحر، يجلس أمامه ، ويقرأ الساحر بصوت عال بعض آيات القرآن، ثم يخفض صوته ويُتمتم بكلام غير مسموع، ما الذي يقوله؟ لا ندري، يخاطب الجن ويتقرب إليهم، فهذه رقى شركية، الرقى المشروعة تكون بالكتاب والسنة، أو بكلام مشروع لا يخالف الكتاب والسنة. هب أنني دعوت بدعاء من عندي، هذا مشروع، طالما أنه ليس فيما يخالف الكتاب والسنة.

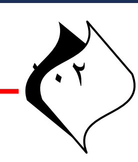
الشرط الثاني: أن تكون باللغة العربية، بلغة مفهومة، لمن يُحسن اللغة العربية. هب أن إنسانًا لا يُحسن اللغة العربية، رجل مسلم أمريكي، لا يعرف إلا القرآن وبعض الأحاديث، ويريد أن يدعو بلغته، حتى يكون قلبه أخشع، هل له ذلك؟ نعم له ذلك، له أن يدعو الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بلغته، طالما أن الدعاء ليس فيه محذور.

الشرط الثالث: ألا يعتقد تأثيرها بذاتها، ألا يعتقد أن الرقية تؤثر بذاتها، وإنما التأثير من عند الله -سبحانه وتعالى- إن شاء أنفذها، وإن شاء لم يُنفذها -سبحانه وتعالى- وإنما يأخذ المرء بالأسباب.

قال: «الرقى والتمائم»، إذًا الرقى منها ما هو شرعي ومنها ما هو شركي، ما المقصود بالتمائم؟ التمائم: جمع تميمة، وهي: العوذة التي تُعلَق لتتميم الأمر، إذًا الرقية كلام، إما التميمة فتُعلَّق، كالذي يسمونه الحجاب يُلبس لجلب نفع أو دفع ضر.

والتمائم على قسمين:

- إما أن تكون التميمة من الكتاب والسنة، وفي جوازها خلاف والصحيح من أقوال أهل العلم أن ذلك لا يجوز، الإنسان لا يجوز له أن يعلق هذا الحجاب حتى لو كان فيه قرآن أو حديث رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأن هذه الوسيلة وهذا السبب ليس سببًا شرعيًا للشفاء، وإنما سبب الشفاء القراءة، أن تقرأ القرآن، وليس أن تضع الحجاب أسفل الوسادة، أو تعلقه في رقبتك، ثم إنه يؤدي إلى امتهان القرآن.



- وإما أن تكون التميمة تميمة شركية، فهذه لا تجوز، كالذي يعلق على الباب خمسة وخميسة، أو خرزة زرقاء، أو الكف، أو يلبس حظاظة. يعلق أي شيء؛ رأس حمار أو كبش، فهذه تسمى تميمة شركية، وهذه التي قال فيها النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: والتمائم شرك.

«والتِوَلَة»، ما المقصود بالتولة؟ شيء يصنعه الساحر، يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته، تجد المرأة زوجها لا يميل إليها، فتذهب إلى الساحر وتقول: الله يكرمك يا عم الشيخ!! هكذا تقول، اعمل لنا حاجة عشان ترجَّع الراجل للبيت، حجاب أو أي حاجة، بعد يوم أو اثنين تجد الراجل لا يخرج من البيت!! حتى الصلاة يصليها في البيت!!، هذه تسمى تِوَلَة. وهو الذي عناه الإمام هاهنا بالصرف والعطف.

قال -رحمه الله- في الناقض: **(السحر، ومنه الصرف والعطف)**. **الصرف** هو أن يذهب إلى الساحر ليقوم بصرف الرجل عن امرأته، أي التفريق بين الرجل وامرأته، تجده بعد أسبوع من زواجه لا يطيق النظر إلى زوجته، لما حدث من سحر يُفرق بين المرء وزوجه.

أو **العطف**، وهو أن يميل إلى زوجته بعد الاستعانة بالشياطين، فهذه تسمى بالتِوَلَة، وهي شرك، قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«الرقى والتمائم والتولة شرك»**، طيب.

التفصيل في قتل الساحر

هل يُقتَل الساحر أم لا؟ قلنا: الصحيح أن الساحر كافر، وقد ثبت عن ستة من أصحاب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قتل الساحر، وهو قول جمهور أهل العلم، قالوا: إنه يُقتَل لهذه الآثار، ولم يُعلَم لأصحاب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مخالف.

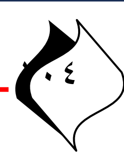
وذهب الشافعية إلى أن الساحر لا يُقتَل إلا في حالتين:

الحالة الأولى: أن يُقر على نفسه بالكفر في سحره، يقال له: صف لنا، فإن وصف كفرًا قال الشافعي: يُستتاب، فإن تاب وإلا قُتل.

والحالة الثانية التي يُقتَل فيها الساحر عند الشافعية: أن يَقتل بسحره، عمل سحرًا فقتل به إنسانًا، فيُقتَل قصاصًا، ولا يُستَتاب، لأن النفس بالنفس، أما الجمهور فلا تفصيل عندهم، الساحر يُقتَل، بسبب هذه الآثار التي ذكرناها.

أما إن كان سحره بالأدوية، يعني لا يسحر استعانة بالشياطين، وإنما بالأدوية، يضر الناس، فإنه يُرجَع فيه للحاكم، يُرجَع فيه للقاضي، إن رأى أن يحبسه حبسه، وإن رأى أن يقتله دفعًا لشره وضرره قتله، فيُرجَع فيه إلى ولي الأمر.

هل يُستتاب أم لا؟ قال الشافعي: يُستتاب، وأكثر أهل العلم على أنه لا يُستتاب؛ لهذه الآثار الثابتة عن أصحاب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ما كانوا يستتيبون الساحر، وإنما بمجرد معرفة أنه كفر بسحره أو عمل سحرًا كفر به قتلوه، وهذا هو الثابت عن أصحاب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هذا أولًا.



وقالوا كذلك: لأنه حتى لو تاب فسحره في نفسه لا يخرج منه، الساحر إن تاب ألا يستطيع أن يسحر بعد ذلك؟ يستطيع أن يسحر، فقالوا: حتى لو تاب فسحره معه، لم يخرج منه، فلا يزول بتوبته، ولا يُؤمَن ضرره، قد يعود مرة ثانية، وبالتالي قالوا: إنه يُقتَل.

وأما من قال باستتابته قالوا: إذا كان الكافر ساحرًا قبل أن يُسلم، هل لو دخل في الإسلام تقتلونه لما معه من السحر؟ نقول: لا نقتله، هب أن إنسانًا كان كافرًا، كان نصرانيًا، يهوديًا، وكان ساحرًا، فأسلم، وشرح الله صدره للإسلام، ما زال سحره معه، هل نقتله بعد دخوله في الإسلام بسبب ما معه من السحر؟ قولًا واحدًا لا نقتله؛ لأن الإسلام يجب ما قبله، قالوا: فالذي كان مسلمًا من باب أولى، إذا كنتم لا تقتلون الكافر الأصلي بعد أن تاب فالذي كان مسلمًا من باب أولى.

والراجح: أن الأمر يُرجَع فيه لولي الأمر، إن رأى أنه شره عظيم ولا يُؤمَن ضرره قتله، وإن رأى أنه تاب توبة نصوحًا ولن يرجع إلى ذلك عفا عنه، ما لم يقتل بسحره، فإن قتل بسحره قُتل، كما فعل أصحاب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

ومنهم جندب -رضي الله عنه- فإنه دخل على أحد الأمراء، ووجد عنده ساحرًا يعمل بسحره؛ كان يلعب بين يدي الأمير بالسحر، فكان يأتي بالرجل يضرب رأسه، ثم يصيح به، فيقوم ويرتد إليه رأسه، يقول له: قم، فيقوم الجسد ويعود الرأس مرة ثانية إلى الرأس، فيقول الناس: سبحان الله! يحيي الموتى،

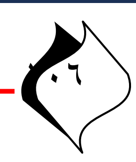
فتسبب في فتنة عظيمة، فرآه رجل من صالح المهاجرين -رضي الله عنهم- فلما جاء في الغد اخترط سيفه، وأخفاه، ودخل على الأمير، فما أن قام هذا الرجل ليلعب كما يلعب كل يوم إلا وضرب عنقه، وقال له: أحيِ نفسك، ألست تُحيي غيرك؟! فأحيِ نفسك، فكانوا يقتلونه دون استتابة.

ماذا عن الذي يُصاب بالسحر؟ كيف يحل السحر؟

أولًا: عليه أن يصدق في لُجئه إلى الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وفي الضراعة والإلحاح في الدعاء، هذا أهم شيء، أنه يتضرع، ويخضع، ويتوب، ويعود إلى الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يحافظ على الصلوات في الجماعة، المرأة تحافظ على لباسها الشرعي، تحافظ على الأذكار صباح مساء، لا تعلق صورًا في البيت، لا تسمع الأغاني، هذا أول شيء، لمن أراد أن يذهب السحر عنه.

الأمر الثاني: قراءة القرآن، يقرأ هو أو يُقرَأ عليه، والأولى أن يقرأ هو؛ لأن هذا يكون أكثر إخلاصًا، يقرأ السور والآيات التي تتعلق بهذا الأمر، كسورة البقرة. ترى بعض الناس يشغل التسجيل في البيت، الأولى أن يقرأ هو سورة البقرة، فالبيت الذي تُقرَأ فيه سورة البقرة لا تستطيعه البطلة، أي السحرة، ولا تدخله الشياطين مدة ثلاثة أيام، كما أخبر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لو قرأت سورة البقرة في بيتك لا تدخل الشياطين بيتك ثلاثة أيام.

يقرأ آية الكرسي، جاء في فضلها ما تعلمون، يقرأ المعوذات، يرقي كما كان يرقي النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يحافظ على أذكار الصباح والمساء، وأذكار النهار، يحافظ كما قلنا على أداء الفرائض.

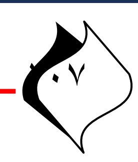


أو أن يرقيه رجل من الصالحين، لا من الدجالين المتكسبين بهذا الأمر، أُعيد هذه الجملة مرة ثانية لأهميتها، أن يرقيه رجل من الصالحين، لا من الدجالين المتكسبين المتخذين هذا الأمر مهنة، بعض الناس يتخذ علاج المسحورين ويتخذ الرقية مهنة، يتكسب من خلفها، فهذا دجال، وأكثر هؤلاء يستعينون بالجن، فما ينبغي للإنسان أن يذهب إلى هؤلاء؛ لأن الاستعانة بالجن شرك، وتوكل على الجني.

ولا يغرنك أن يقول الجني إنه مسلم؛ لأن الأصل في الجن الكذب، قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«صدقك وهو كذوب»**، وهذه صيغة مبالغة، إذاً الأصل في الجن الكذب، وهو عالم غيبي، أنت لا تراه، ربما كذب عليك وقال: اسمي عبد الله، أو اسمي أبو بكر، وأصلي معك في المسجد، وأحضر دروس العلم، وأحفظ القرآن، لماذا؟ ليستدرج الإنسان، حتى يعتمد عليه بعد ذلك، وهذا رأيناه، المعالجون هؤلاء بمجرد جلوس المرء أمامهم يستعينون بالجن، فتوكلوا على الجن دون الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-.

أما الرجل الصالح فلا بأس أن يرقيه، فلو قلتَ لرجل صالح: أشعر بصداع في رأسي، لصديقك، أو لجارك، أو لأي رجل صالح، لم يتخذ هذا الأمر مهنة، ووضع يده على رأسه، ورقاك كما كان يرقي النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فهذا لا بأس به.

والأولى ألا أطلب منه؛ لأن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال في السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بلا حساب: **«ولا يسترقون»**، لا يسترقون



يعني لا يطلبون من غيرهم الرقية، إن طلبت فلا بأس، مكروه كراهة تنزيه ويفوت عليك هذه الفضيلة، لكن الأولى أن يرقيك هو دون طلب، ولو طلبت منه فلا بأس، ولكن هذا خلاف الأولى كما قلنا.

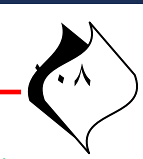
هل يجوز حل السحر بمثله؟ لأن بعض الناس يذهب إلى السحرة ثم بعد المجلس يقول له: اذهب إلى المقابر، أو اذهب إلى المكان الفلاني، واحفر، وستجد مثلًا كيسًا فيه كذا وكذا، خذه واحرقه، هذا ما سُحرت به، فهذا حل للسحر بالسحر؛ لأنه ما أوصله إلى ذلك إلا الشياطين، فهذا حرام، وهو استعانة بالشياطين، فلا يجوز حل السحر بالسحر، وهي التي تسمى بالنُشرة؛ لأنها من عمل الشيطان.

سُئل النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما عند أحمد من حديث جابر سُئل عن النُشرة، أي: حل السحر بالسحر، قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«هي من عمل الشيطان»**.

كيف يكون أمرها؟ قال ابن القيم: **"يتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب، فيُبطل عمله عن المسحور"**، يتقرب إلى الساحر بذبح شيء، أو بأي شيء من الأذكار أو غير ذلك، فيُبطل الجني عمل السحر.

وسُئل أحمد عنها -رحمه الله- فقال ابن مسعود: **"يكره هذا كله"**، والكراهية في لسان السلف تعني التحريم.

وسُئل الحسن كما عند أبي شيبة عنها فقال: **"سحر"**.



إذًا لا يجوز حل السحر بسحر مثله، و «**من ذهب إلى عرَّاف لم تُقبَل له صلاة أربعين صباحًا**»، أربعين يومًا، مجرد الذهاب إلى الدجالين، إلى العرافين، يترتب عليه أن الله لا يقبل صلاتك أربعين يومًا، فإن صدّقه كفر بما أُنزل على محمد، أي إن صدّق الساحر الكاهن الدجال فيما يقول كفر بما أُنزل على محمد؛ لأن هذا الرجل يدعي معرفة الغيب.

لكن لو استخرجه وعرف مكانه دون الاستعانة بالشياطين فهذا لا بأس به، كأن يتوب من تسبب في سحره، وقال له: سحرك في المكان الفلاني، فذهب وأحضره وأحرقه أو مزقه، ولم يستعن بالشياطين، فهذا لا بأس به، أما الاستعانة بالشياطين فهذه هي التي فيها محذور.

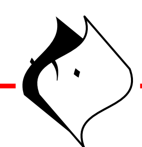
آخر ما ننبه عليه: هذه القصة التي ذكرها الله في سورة البقرة عن ملَكَين، هاروت وماروت.

هاروت وماروت ملكان من الملائكة، والملائكة لا تعصي الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- قال الله -عَزَّ وَجَلَّ- عنهم: **﴿لا يَعصُونَ اللهَ ما أَمَرَهُم وَيَفعَلونَ ما يُؤمَرونَ﴾**[التحريم: ٦]، وقال **﴿يُسَبِّحونَ اللَّيلَ وَالنَّهارَ لا يَفتُرونَ﴾**[الأنبياء: ٢٠]، وقال: **﴿يَخافونَ رَبَّهُم مِن فَوقِهِم وَيَفعَلُونَ ما يُؤمَرونَ﴾**[النحل: ٥٠]، **﴿وَهُم مِن خَشيَتِهِ مُشفِقونَ﴾**[الأنبياء: ٢٨]، فالملائكة خلق مجبولون على طاعة الله، لا يعرفون المعصية، والآية التي في سورة البقرة تبين أنهما كانا يُعلِّمان الناس السحر، والسحر كفر!!

نقول: كانا الملكان فتنةً وابتلاءً وامتحانًا للناس؛ لأنهما قبل التعليم يقولان: إنما نحن فتنة فلا تكفر، الله أنزلنا للابتلاء والاختبار، إياك أن تأتي لتعَلُّم السحر، يُحذرانه مرة بعد مرة بعد مرة، فإذا لم يستجب فهو الذي ألقى بيده في التهلكة، فأرسلهما الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- اختبارًا وابتلاءً، كقصة الأقرع والأبرص والأعمى. لما جاءت الملائكة هؤلاء الثلاثة، فكانت سببًا في الاختبار والفتنة، صحيح؟ فجحد الأقرع، الأبرص نعمة الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- قال: ورثته كابر عن كابر، واعترف الأعمى بنعمة الله، فأرسل الله الملائكة ابتلاءً واختبارًا، فكذلك هاروت وماروت أرسلهما الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ابتلاءً واختبارًا، فاستجابا لأمر الله، وكان هذا من تقدير الله الكوني القدري.

الشاهد: أن السحر ومنه الصرف والعطف كفر ورِدة، يُخرج من الإسلام إلى الكفر، من فعله أو رضي به، يقول: لا بأس بالعمل به، لا بأس لو ذهب هذا إلى الساحر، يرضى به، هذا كفر؛ لأنه معارض لكتاب الله وسنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لا بد أن يُنكر ذلك بقلبه ولسانه، هذا كفر وردة يُخرج من الإسلام إلى الكفر.

ودليل ذلك كما قلنا- ومدار حديثنا، ومدار أحكامنا دائمًا على الدليل- قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمانِ مِن أَحَدٍ حَتّى يَقولا إِنَّما نَحنُ فِتنَةٌ فَلا تَكفُر﴾، فالسحر كفر وردة يُخرج من الإسلام إلى الكفر.



الناقض الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين

قال الإمام المجدد -رحمه الله-: (الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل: قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِنكُم فَإِنَّهُ مِنهُم إِنَّ اللهَ لا يَهدِي القَومَ الظّالِمينَ﴾[المائدة: ٥١]).

فهذا هو الناقض الثامن من النواقض التي ذكرها الإمام المجدد محمد ابن عبد الوهاب -رحمه الله- من الأمور التي يرتد بها المسلم ويخرج بها من الإسلام، وهذا الناقض هو: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين.

والمقصود بالمظاهرة والمعاونة: أي: أن يُعين المرء المشركين على المسلمين محبةً في دينهم، ورضىً بما هم عليه من الكفر، وبغضًا للإسلام.

فمن أعان المشركين على المسلمين بهذه القيود التي ذكرناها فهو خارج من الإسلام، وذلك أن الشهادة تقتضي أن يكون الولاء كله لله -سبحانه وتعالى- ولنبيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وللمؤمنين، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسولُهُ وَالَّذينَ آمَنُوا﴾[المائدة: ٥٥] فالولاية التي تعني المحبة والنصرة والتأييد ما ينبغي أن تكون لهؤلاء، وهذا هو مقتضى طاعة الله ورسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

ولذلك الإمام المجدد في رسالته **(ثلاثة الأصول)** بعد أن بيَّن أنه ينبغي أن نتعلم ثلاث مسائل، ذكر المسألة الثالثة، فقال: أن من أطاع الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ووحد الله تعالى لا يجوز له موالاةُ من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب، أي: لا يجوز له أن يحبه وأن ينصره من أجل دينه؛ لأن الله

تعالى قال: ﴿لا تَجِدُ قَومًا يُؤمِنونَ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ يُوادّونَ مَن حادَّ اللهَ وَرَسولَهُ وَلَو كانوا آباءَهُم أَو أَبناءَهُم أَو إِخوانَهُم أَو عَشيرَتَهُم أُولئِكَ كَتَبَ في قُلوبِهِمُ الإيمانَ وَأَيَّدَهُم بِروحٍ مِنهُ وَيُدخِلُهُم جَنّاتٍ تَجري مِن تَحتِهَا الأَنهارُ خالِدينَ فيها رَضِيَ اللهُ عَنهُم وَرَضوا عَنهُ أُولئِكَ حِزبُ اللهِ أَلا إِنَّ حِزبَ اللهِ هُمُ المُفلِحونَ﴾[المجادلة: ٢٢].

والناس في جانب المحبة والولاء والبراء ينقسمون إلى أقسام ثلاثة:

- فمن الناس من يُحَب جملة، وهم الذين آمنوا بالله وبرسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقاموا بوظائف الإسلام، فالذي يؤمن بالله ورسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ويقوم بوظائف الإسلام فهذا يُحَب من كل وجه، ولا يُبغَض.

- ومن الناس من يُحَب من وجه ويُبغَض من وجه، وهؤلاء هم الذين خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا، فيُحَب هؤلاء لما معهم من الأعمال الصالحة، وتكون الولاية لهم على قدر ما معهم من الأعمال الصالحة، ويُبغَضون على قدر ما معهم من المعاصي.

ودليل ذلك: هذا الصحابي الذي كان كثيرًا ما يشرب الخمر، فيُؤتى به إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فلما لُعن، لعنه بعض الصحابة قال: «لا تلعنوه، ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله»، فكان عاصيًا، وشاربًا للخمر، ولكن كان يحب الله ورسوله، فله جانب من الولاء والمحبة، يُحَب من وجه ويُبغَض من وجه.

- ومن الناس من يُبغَض جملة، لا يُحَب مطلقًا، وهذا هو الكافر، فلا يكون له نصرة، ولا تأييد، ولا محبة، ولا مظاهرة؛ لأن الواجب على المرء أن يبرأ من الشرك وأهله، الواجب عليك كمسلم أن تُبغض الشرك وأهله، وهذا هو مقتضى لا إله إلا الله، قال تعالى: ﴿فَمَن يَكفُر بِالطّاغوتِ وَيُؤمِن بِاللهِ﴾[البقرة: ٢٥٦]، فلا بد قبل الإيمان بالله أن تكفر بالطاغوت، وأن تُبغض الشرك وأهله كما قال إبراهيم عليه السلام لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ ﴿ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

وقال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أوثق عُرى الإيمان الحب في الله والبُغض في الله»، فلا بد أن يكون حبك وبُغضك قائمـًا على ما يرضي الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-.

فقال هاهنا: (موالاة المشركين، أو مظاهرتهم، ومعاونتهم على المسلمين).

ما المقصود بالموالاة؟ أي: أن تتولاهم، أن تتخذهم أولياء من دون المؤمنين، والله تعالى قال: ﴿لا يَتَّخِذِ المُؤمِنونَ الكافِرينَ أَولِياءَ مِن دونِ المُؤمِنينَ وَمَن يَفعَل ذلِكَ فَلَيسَ مِنَ اللهِ في شَيءٍ﴾[آل عمران: ٢٨]، أي: خرج من الإسلام إلى الكفر، الذي يتولى المشركين، يحبهم، ويحب ما هم عليه، من الكفر، ومن الدين الباطل، فهذا يخرج من الإسلام إلى الكفر.

والمحبة أصلها في القلب، إذًا الموالاة عمل قلبي، فلو أن إنسانًا أقام بين المشركين، رجل هاجر من بلاد الإسلام إلى بلاد الكفر، وذهب إلى دولة من

دول أوروبا، أو أمريكا، وأقام بينهم، وأحب ما هم عليه، وأحب دينهم، وأحب طريقتهم، ورضي بها، هذا يخرج من الإسلام إلى الكفر، وهذا نوع من الموالاة، فليس شرطًا في الموالاة أن يعين المشركين على المسلمين، فهذا فرع ونوع من أنواع الموالاة.

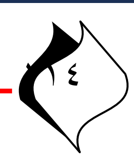
أما لو أقام بينهم، وأحب ما هم عليه من الدين، وتحاكم إلى ما هم عليه ورضي به، فهذا يخرج من الإسلام إلى الكفر.

إذًا الموالاة قد تكون عملًا قلبيًا، ولو لم يعمل شيئًا بجوارحه.

وقد تكون نصرة للمشركين على المسلمين من أجل دينهم، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِنكُم﴾، في هذه الآيات التي استدل بها المصنف، ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِنكُم﴾، ومن يُظاهرهم على المسلمين ﴿فَإِنَّهُ مِنهُم﴾، أي: ومن يحب شركهم، وكفرهم، وينصرهم على أهل الإيمان، قاصدًا ظهور الكفر على الإسلام، فهذا الذي يرتد.

إذًا هذا هو الضابط في الردة، أن يكون حبه لهم من أجل دينهم، أن تكون مظاهرته من أجل ذلك... والمظاهرة: النصرة، والمعاونة.

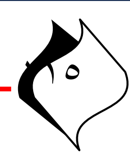
والمصنف لما قال: **(مظاهرة المشركين ومعاونتهم)** هذا العطف كان من باب عطف التفسير، يريد أن يُبين المقصود بالمظاهرة، أي: المعاونة، يُعين المشركين من أجل دينهم، فهذا كفر -عياذًا بالله- وهو سبب في الردة، **وهذا القسم الأول من المظاهرة.**



أما القسم الثاني: فهو محرم، وكبيرة من الكبائر، ولكنه لا يُخرج من الإسلام إلى الكفر، وهو موالاة المشركين من أجل دنياهم، أو من أجل القرابة.

وضابط ذلك: أن تكون محبة أهل الشرك لأجل الدنيا، لا من أجل دينهم، إنسان يُظاهر، يُعاون المشركين من أجل الدنيا، يُعطونه مالًا، أو يرجو أن يبقى في منصبه، أو غير ذلك، يريد جاهًا، فهذا محرم ولكنه لا يُخرج المرء من الإسلام إلى الكفر.

والدليل على ذلك: ما جاء في قصة الصحابي الجليل حاطب -رضي الله عنه- فإن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لما عزم على غزو المشركين في فتح مكة ما كان من حاطب بن أبي بلتعة -رضي الله عنه- إلا أن أرسل إلى المشركين يُخبرهم بمقدم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هو صحابي، وممن شهد بدرًا، وأرسل إلى المشركين في مكة يُخبرهم بمقدم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وكان النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إذا خرج في غزوة ورَّى، لا يُظهر جهته ولا مَن يريد أن يغزوَه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فكان يكتم ذلك، فما كان من حاطب إلا أن أرسل إلى المشركين يُخبرهم بمقدم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لماذا؟ دفاعًا عن أهله وماله في مكة، لأنه لو لم يفعل ذلك فلربما أُوذيَ أهله، وضاع ماله، ففعل ذلك من أجل الدنيا أم من أجل الدين؟ فعل ذلك من أجل الدنيا، فلما فعل ذلك جاء الوحي إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأخبره، وكان حاطب قد أرسل الرسالة مع ظعينة، فأرسل النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إليها علي بن أبي طالب والزبير بن العوام والمقداد-رضي الله



عنهم- لأخذ هذه الرسالة، وكانت قد أخفتها شعرها، فلما جاءوها قالت: ما معي شيء، فقال لها علي: لتخرجن الكتاب أو لنجردن الثياب، أخبرنا رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بوجود كتاب معكِ، فلا بد أن يكون الكتاب معكِ، رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لا يكذب، ﴿وَما يَنطِقُ عَنِ الهَوى * إِن هُوَ إِلّا وَحيٌ يوحى﴾[النجم: ٣-٤]، فلما رأت الجِد منهم أخرجت الرسالة من شعرها، فذهبوا بالرسالة إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

الأمر الأن يحتمل الردة ويحتمل أن يكون ذلك من أجل الدنيا، فقال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بعد أن قرأ ما في الرسالة: **«ما حملك على ما صنعت يا حاطب؟»**، إذًا هذا الأمر الموالاة أمر قلبي، والمظاهرة والمعاونة قد تكون من أجل الدنيا أو من أجل الدين، فلا بد من الاستفسار والتبين، ولا بد من السؤال، ولا يجوز لنا أن نحكم على شخص بمجرد مظاهرته أنه فعل ذلك حبًا في دينهم، وليس الأمر كذلك، أو أنه يحب اليهود والنصارى ويميل إليهم، ويحب دينهم، فكل هذا قد يكون من الكذب والتخرص.

فالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال له: **«ما حملك على ما صنعت يا حاطب؟»**، فدل ذلك على اعتبار القصد، ينبغي أن ننظر إلى قصد الفاعل، ماذا أراد بذلك؟ لأنه إن قصد ظهور الشرك على الإسلام فهذا يخرج من الإسلام إلى الكفر، وإن قصد الدنيا فقد فعل محرمًا ولكنه لا يخرج من الإسلام إلى الكفر، فقال: **«ما حملك على ما صنعت يا حاطب؟»**، فقال حاطب -رضي الله عنه-: **"يا رسول الله، ما لي ألا أكون مؤمنًا بالله ورسوله"**، يعني ما أردت الردة،

أنا مؤمن بالله ورسوله، بل هو ممن شهد بدرًا -رضي الله عنه- "ولكني أردت"، هذا هو قصده، "ولكني أردت أن يكون لي عند القوم يد يُدفَع بها عن أهلي ومالي، وليس من أصحابك أحد إلا له هنالك من قومه من يدفع الله به عن أهله وماله"، فقال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الذي يُوحَى إليه قال: «صدق، ولا تقولوا له إلا خيرًا»، فقال عمر: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك أن الله قد يكون اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

فلما تكلم حاطب وبيَّن قصده وبيَّن ماذا أراد من فعله هذا، هل أراد مظاهرة المشركين على المسلمين من أجل دينهم أم أراد أمرًا من أمور الدنيا، فظهر أنه أراد أمرًا من أمور الدنيا، وما أراد أمرًا من أمور الدين.

الموالاة والمظاهرة والمعاونة ألفاظٌ لا بد أن نقف معها، فهناك موالاة وهناك تولي.

الموالاة بوجه عام، منها ما هو كفر ومنها ما هو كبيرة من الكبائر، فهذه هي الموالاة بالمعنى العام.

وأما **التولي**: فهو نصرتهم من أجل دينهم، وهذا هو الكفر الذي يخرج به المرء من الإسلام إلى الكفر، لأن المرء ما ينبغي عليه إلا أن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا.

فلو نظرنا الآن في حالنا، هب أننا عقدنا معاهدة مع المشركين، وهذه المعاهدة فيها شيء من الجور والظلم، هل يجوز لنا أن نقول: إن ذلك من

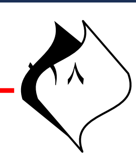
المظاهرة ومن المعاونة للمشركين على المسلمين وبالتالي من عقد ذلك من ولاة الأمور خرج من الإسلام إلى الكفر؟ لا يجوز، لا بد من التفصيل، وهذا لا بد أن يُرجَع فيه إلى القصد، طيب.

هب أن رجلًا عاون المشركين على المسلمين لا من أجل الدين وإنما من أجل الدنيا، فهذا كذلك لا يكفر وإن كان مرتكبًا كبيرة من الكبائر، فإن عاونهم من أجل دينهم كان ذلك هو الكفر، وقلنا أن الموالاة قد تكون بلا معاونة ولا مظاهرة، وإنما هي محبة لما هم عليه.

وهذا يبين لنا الخطورة التي يقع فيها كثير من الشباب من محبي كرة القدم، فتجدهم يظاهرون ويحبون ويرضون بكل ما يفعله لاعب الكرة الكافر، من هذه الإشارات، ومن طريقة ترجيل الشعر، ومن لبس الثياب وغير ذلك، بل حتى هذا الوشم الذي يصنعونه على أيديهم، ترى الشباب يقلدونهم في كل هذه الأمور، بل بعضهم يُسمي نفسه بأسمائهم، وهذا -عياذًا بالله- قد يُخرج المرء من الإسلام إلى الكفر دون أن يدري، لأن هؤلاء يُبغَضون ولا يُحَبون من أي وجه.

قلنا إن الناس على أقسام ثلاثة:

- منهم ما يُحَب مطلقًا.
- ومنهم من يُحَب ويُبغَض.
- ومنهم من يُبغَض مطلقًا.



فهذا يبين لنا أهمية الاعتناء بهذا الأمر، وتنبيه هؤلاء الشباب الذين يحبون لاعبي الكرة، والمغنيين، والفُسّاق، وغيرهم ممن يتخذونهم قدوة من أهل الضلال والفسق والفجور والشرك أنهم يجوز لهم فعل ذلك مطلقًا.

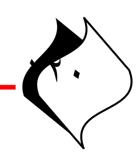
ومما ينبه عليه أن تجد بعض الخوارج يُكفّرون أولياء الأمور لما يقومون به من هدنة أو معاهدة ، وتراهم يقيمون بين المشركين بين ظهرانيهم في بلدانهم، يتقاضون الرواتب منهم، بل ويفخرون بالتحاكم إلى قوانينهم الوضعية، كهؤلاء الذين يقبعون في بريطانيا، السباعي، وأبو قتادة الفلسطيني، وأبو حمزة المصري، هؤلاء من رؤوس الخوارج في زماننا، ويُكفرون ولاة جميع بلاد المسلمين، بلا استثناء، حتى ولاة السعودية، ومع ذلك تجد رجلًا كأبي قتادة هذا يتقاضى راتبًا شهريًا من الحكومة البريطانية، ويفخر أنه قد حصل على حقه، لمَّا ترافع إلى المحاكم البريطانية، وهي محاكم كفرية، فهذا قد يكون قد وقع في الكفر بمحبة ما هم عليه، ثم بعد ذلك ينسى الجزع في عينيه، ويُبصر القذى في عين الآخرين كما قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وكما قيل: رمتني بدائها وانسلَّت.

الناقض التاسع: الخروج عن شريعة محمد –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

قال الإمام المجدد رحمه الله: **(التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى –عليه السلام- فهو كافر).**

وهذا الأمر مهم جدًا، وهو يتعلق أكثر ما يتعلق بالصوفية، وغلاتهم ، فإنهم أو بعضهم يعتقد أنه يسعه أن يخرج عن شريعة محمد –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وألا يتعبد بها؛ فمنهم من يقول إنه وصل إلى مرحلة اليقين، ويعنون بهذه المرحلة: سقوط التكاليف، فلا صلاة، ولا صيام، ولا حج، لأنهم بلغوا مرحلة اليقين، ويتأولون في ذلك قول الله تعالى: ﴿وَاعبُد رَبَّكَ حَتّى يَأتِيَكَ اليَقينُ﴾[الحجر: ٩٩]، مع أن اليقين المقصود في هذه الآية هو الموت، كما قال النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن عثمان بن مظعون لما مات: «أما هذا فقد أتاه اليقين»، ، يعني جاءه الموت، هذه واحدة.

فهؤلاء خرجوا عن شريعة محمد –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأسقطوا التكاليف عن أنفسهم، والنبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو من هو في العبادة في سكرات الموت يقوم، يغتسل –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ويريد أن يخرج ليُدرك الناس في الصلاة وقد غُفر ما تقدم من ذنبه وما تأخر –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وما قال بسقوط التكاليف عن نفسه –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.



أو يعنون بالخروج عن شريعة محمد: أن سائر الناس يأخذون دينهم عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأما هم فيأخذون دينهم عن ربهم، يسمونه بالعلم اللدُني، يقولون: أنتم تأخذون دينكم عن ميت، ونحن نأخذ ديننا عن الحي الذي لا يموت.

من أين جاءوا بذلك؟ جاءوا به كما ذكر المصنف هاهنا؛ يعتقدون أن الخضر خرج عن شريعة موسى، ومع ذلك ما لام الله الخضر ولا عتب عليه، ونحن نعلم قصة الخضر مع موسى في سورة الكهف، فموسى-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لما سُئل ذات يوم: من أعلم الناس؟ قال: أنا، فأراد الله أن يُعلمه أن هناك من هو أعلم منه، وأنَّ عليه أن يكل ذلك لله تعالى، فأمره أن يذهب إلى مجمع البحرين، وسيجد هناك رجلًا معه من العلم ما ليس مع موسى -عليه الصلاة والسلام- وهذا هو الخضر.

وسُمي بالخضر: لأنه جلس ذات يوم على ربوة فاخضرَّت، يعني أنبتت وتحولت إلى اللون الأخضر، كما جاء في صحيح مسلم، فسُمي بالخَضر.

فقالوا: هذا موسى -عليه الصلاة والسلام- ذهب إلى الخَضر، والأصل في الخضر أنه تابعٌ له، ومع ذلك قتل الخضر غلامًا لا ذنب له، وخرق السفينة، وبنى بنيانًا، وفي كل ذلك لم يرتضِ موسى فعله، فقالوا: هو بذلك خرج عن شريعة موسى -عليه الصلاة والسلام- ويقولون: قد خرج عن شريعة موسى وهو ولي، وكان يعلم ما لا يعلمه النبي موسى، فدل ذلك على أن الولي أعلى مرتبة من النبي.

ولهم بيت مشهور يقولون فيه:

مقام النبوة في برزخ   فُويق الرسول ودون الولي

إذًا مَن الأعلى؟ الولي، ثم النبي، ثم الرسول، مع أنه من المعلوم أن الرسول أعلى من النبي والولي، أما هم فيقولون: إن الولي أعلى مقامًا من النبي والرسول.

ولذلك أضفوا على أوليائهم ما هو لله -سبحانه وتعالى- ولو قرأت الطبقات الكبرى لعبد الوهاب الشعراني لوجدت عجبًا في ذلك، فتجد الولي عندهم يُحيي ويُميت، ويعلم الغيب، بل يرد ما كتبه الله في اللوح المحفوظ، بل يُجادل منكرًا ونكيرًا في القبر، وقد كتب الله أقوامًا في النار فيردون كتابة الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ويردون ملك الموت، ويأخذون الأرواح من ملك الموت، ويُعيدونها مرة ثانية إلى الأجساد في الأرض، كل هذه الأمور أضفوها على الأولياء، وكل ذلك لأنهم ظنوا أن الخضر خرج على شريعة موسى، وكان وليًا، **والصحيح: أن الخضر كان نبيًا، ولم يكن وليًا.**

والدليل على ذلك: ما جاء في سورة الكهف، فهناك براهين كثيرة جاءت في سورة الكهف تبين أن الخضر كان نبيًا لا وليًا.

أول دليل: قوله: ﴿وَما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمرِي﴾[الكهف: ٨٢] إذًا هذا الفعل الذي فعله من قتل الغلام، وخرق السفينة، وإقامة الجدار، إنما هو وحي من الله -سبحانه وتعالى- قال: **﴿وَما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمرِي﴾**، لأنه إما أن يكون عن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أو عن ولي غيره، على أساس أنهم يقولون: إنه ولي، ولو كان

عن ولي غيره لأمر الله موسى أن يذهب إلى هذا الولي، فهو أعلم من الخضر، فقوله: ﴿وَما فَعَلتُهُ عَن أَمرِي﴾، دل ذلك على أنه نبي وليس بولي.

وكذلك قول موسى له: أنت على علم علَّمكه الله، ولم يُعلمني إياه، وأنا على علم علَّمني إياه ولم يُعلمك إياه كما في الصحيح من حديث نوف البكالي عن ابن عباس رضي الله عنهما، فدل ذلك على أن الخضر عنده من العلم ما ليس عند موسى، وهذا لا يكون إلا لنبي؛ فليس عند واحد من الخلق من العلم ما ليس عند النبي، النبي في قومه يكون أعلم قومه، فدل ذلك على أنه نبي، فموسى كان نبيًا لقومه وهذا كان نبيًا كذلك، ونحن نعلم أن الأنبياء كانوا يُرسَلون إلى قومهم خاصة، فلم يكن الخضر تحت شريعة موسى -عليه الصلاة والسلام- حتى يقال: خرج على شريعته.

وكذلك: ﴿قالَ لَهُ موسى هَل أَتَّبِعُكَ عَلى أَن تُعَلِّمَنِ مِمّا عُلِّمتَ رُشدًا﴾[الكهف: ٦٦]، هل يجوز في حق نبي أن يقول لولي: هل أتبعك؟ لا يجوز، فدل ذلك على أن الخضر نبي كموسى، فالاتباع لا يكون إلا للأنبياء، النبي لا يتبع إلا نبيًا مثله، لا يُتابِع وليًا.

ثم هذه الأمور التي فعلها تتعلق كلها بالغيب، لا يستطيعها أي ولي، قتل الخضر عليه السلام الغلام وهو صغير، فلما سُئل عن ذلك أو فلما فسر ذلك لموسى -عليه الصلاة والسلام- قال: ﴿وَأَمَّا الغُلامُ فَكانَ أَبَواهُ مُؤمِنَينِ فَخَشينا أَن يُرهِقَهُما طُغيانًا وَكُفرًا * فَأَرَدنا أَن يُبدِلَهُما رَبُّهُما خَيرًا مِنهُ زَكاةً وَأَقرَبَ رُحمًا﴾[الكهف: ٨٠-٨١]، ﴿فَخَشينا أَن يُرهِقَهُمَا﴾، يعني عند الكبر، من

الذي أعلم الخضر أن هذا الغلام طُبع يوم طُبع كافرًا؟ كتب الله أنه يكون من الكافرين، وأنه إن كبر فسيُرهق والديه طغيانًا وكفرًا، من الذي أعلم الخضر ذلك؟ هذا لا يكون لولي مطلقًا.

وكذلك السفينة، من الذي أعلمه أن في البحر جبارًا يأخذ كل سفينة صالحة غصبًا؟ هذا غيب، من الذي أعلمه أن تحت الجدار كنزًا لغلامين كان أبوهما صالحًا؟ هذا غيب لا يعلمه إلا الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فالإخبار بهذه الغيبيات لا يكون إلا لنبي.

وكذلك قول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عن هذا العبد: ﴿آتَيناهُ رَحمَةً مِن عِندِنا وَعَلَّمناهُ مِن لَدُنّا عِلمًا﴾[الكهف: ٦٥]، يقول الشيخ الشنقيطي -رحمه الله-: "والرحمة هي النبوة"، الرحمة تأتي في القرآن بمعنى النبوة، وأوَّلوا عليه في بعض التفاسير قول الله تعالى: ﴿وَما أَرسَلناكَ إِلّا رَحمَةً لِلعالَمينَ﴾[الأنبياء: ١٠٧]، أي: نبيًا للعالمين، فالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أُرسل للناس كافة.

فكل هذه الوجوه تبين لنا أن الخضر كان نبيًا، وأنه كان صاحب شريعة كما كان موسى صاحب شريعة، فلم يخرج الخضر على شريعة موسى.

ولذلك قالوا: أول عقدة يُغلَق بها باب الزندقة أو يُغلَق بها باب زندقة الصوفية: اعتقاد أن الخضر نبي وليس بولي، هذه أول عقدة يُغلَق بها باب الزندقة عند الصوفية؛ لأن الصوفية باعتقادهم أن الخضر كان وليًا، وخالف موسى، وعلم من الغيب ما لم يعلمه موسى، أضفوا على الأولياء ما ليس للأنبياء، بل ما هو حق خالص لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-.

هل الخضر موجود الآن؟ الصحيح أنه ليس بموجود الآن، لأن الصوفية يقولون: الخضر حي إلى الآن، بل منهم من يزعم أنه يراه ، يزعمون أنهم في جلساتهم يمر عليهم الخضر، ويحضر موالدهم، وأنديتهم، واجتماعاتهم، فالصحيح: أن الخضر مات.

ودليل ذلك أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قد أخبر وهو جالس مع أصحابه **«أنه لا تمر مائة عام إلا وما من نفس منفوسة الآن إلا وتُقبَض»**، يعني كل نفس موجودة يوم أن قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هذه الكلمة لا بد تموت بعد مائة عام ، والخضر نفس، ولو كان الخضر مستثنىً من كلام النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لبين ذلك رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وكذلك مما استدلوا به على موت الخضر: قول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يوم بدر: **«اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تُعبَد في الأرض بعد اليوم»**، صحيح؟ **«اللهم إن تهلك هذه العصابة»**، لأنه لم يكن هناك مؤمن على وجه الأرض إلا هذه الثلة مع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فلو كان الخضر حيًا لاستثناه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لقال: لن تُعبَد بعد اليوم إلا من الخضر، فدل ذلك على أن الخضر مات.

وكذلك كيف يكون الخضر حيًا ولا يأتي للقتال ونصرة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ومبايعة النبي، وقد كان واجبًا على جميع أهل الأرض أن يُبايعوا وأن يؤمنوا برسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ وقد قال-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا أن يتبعني»**، فكيف يكون الخضر حيًا

ولا يأتي لمبايعة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولا يأتي لنصرة النبي والجهاد معه وهو في أشد الحاجة لمن يجاهد معه؟

إذًا الصحيح أن الخضر قد مات، وأنه كان نبيًا.

واعتقاد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ليس خاصًا بالصوفية، وإنما هذا كذلك يشمل العلمانيين، فهم يعتقدون أنه بوسعهم أن يخرجوا عن شريعة محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ومنهم من يرد صريح القرآن، فيردون آيات المواريث، ويتهكمون بكون الذكر له مثل حظ الأنثيين، يريدون التسوية بين الذكر والأنثى في الميراث، يتهكمون بآيات الحجاب، يتهكمون بسنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كذلك في الختان وغيره، فهؤلاء يظنون أنهم بوسعهم أن يخرجوا عن شريعة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وإن لم يستدلوا بفعل الخضر مع موسى.

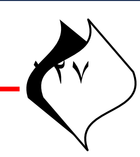
كذلك ممن هم على خطر عظيم أهل البدع، الذين يُحكِّمون عقولهم وأهواءهم في مقابلة النصوص، فمنهم من يغلوا جدًا حتى يصير العقل أصلًا عنده، يُرَد به كل نص، مهما ذكرت له أن هذا النص موجود في صحيح البخاري، أو موجود في صحيح مسلم، أو حتى أن هذا النص موجود في كتاب الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- قد يرده أو يود ردَّه، كما ذكرنا سابقًا عن الجهم بن صفوان . كان يرد الآيات التي تُثبت علو الله -سبحانه وتعالى- على خلقه، وكانت امرأة الجعد بن درهم شيخ الجهم تتهكم من هذه الآيات، وكانت امرأته امرأة ديدانية، برزت أسنانها خارج فمها، فدخلت على زوجة مكي بن

إبراهيم، شيخ الإمام البخاري، فوجدتها تقرأ الآيات ﴿الرَّحمنُ عَلَى العَرشِ استَوى﴾[طه: ٥]، التي فيها ذكر العرش، فقالت لها: هذا العرش من نجَّره؟ تستهزئ بهذه الآيات ﴿الرَّحمنُ عَلَى العَرشِ استَوى﴾[طه: قالت لها: نجَّره الذي نجَّر أسنانك!!

وكان الجهم إذا قرأ الآيات التي فيها استواء الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- على عرشه يقول: وددت لو حككت هذه الآيات من المصحف.

فالخروج عن شريعة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ليس مقصورًا على الصوفية، بل يدخل في ذلك العلمانيون، يدخل في ذلك الملحدون، الذين لا يثبتون ربًا لهذا الكون، ويقولون: إن هذا الكون هكذا جاء صدفة، والذي فعل كل ذلك الطبيعة، فينكرون وجود الله، ومنهم من ينكر الرسالات دون إنكار الإله ، فهؤلاء خرجوا عن الشرع، وكل هؤلاء مرتدون خارجون عن الإسلام، وكذلك من الشيعة الروافض، من قال إنه بوسعه الخروج عن شريعة محمد لشريعة علي، فيُؤلِّهون عليًا، وآل البيت، ويضعون دينًا يخالف دين النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فالأمر ليس بالهين.

فهذه النواقض يقع فيها كثير من الناس، ويتهاونون بها، وكما أنك مأمور بتعلم الإيمان وتعلم أركانه فكذلك أنت مأمور بتعلم ما يهدم الدين. ينقض الإسلام من لا يعرف الجاهلية من الإسلام، فواجب عليك أن تتعلم هذه الأمور حتى تحذرها.



وهذا الكلام الذي ذكرناه كلام مطلق، أما إذا أردنا أن نُسقطه على الأعيان، على أفراد بعينهم، فلا بد من توافر الشروط وانتفاء الموانع كما سيأتي؛ فقد يكون المرء جاهلًا، وقد يكون متأولًا، وقد يكون مُكرَهًا، قد لا يعلم أن ذلك من أسباب الردة، أو قد يتأول، يظن أن الأمر بخلاف ذلك.

الناقض العاشر: الإعراض عن دين الله

قال -رحمه الله-: (العاشر: الإعراض عن دين الله تعالى لا يتعلمه ولا يعمل به، والدليل: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعرَضَ عَنها إِنّا مِنَ المُجرِمينَ مُنتَقِمونَ﴾[السجدة: ٢٢]).

هذا الناقض ناقض عملي، يتعلق بترك العبد تعلَّم دينِ ربه، لا يتعلم الدين ولا يعملُ به، بل يُعرض عنه إعراضًا كليًا، ومن ثَمَّ يخرج من الإسلام إلى الكفر، أو يكون كافرًا غير داخل في الإسلام أصلًا؛ لأنه ما سعى في تعلم هذا الدين.

وهذا الناقض قال فيه المصنف -رحمه الله-: **(الإعراض عن دين الله)**، **والإعراض**: مأخوذ من الفعل أعرض، يقال: أعرض عن الشيء أي: صد عنه وتولى عنه، كما جاء في اللسان.

قال الراغب في المفردات: إذا قيل: أعرض عني، فمعناه: ولَّى مبديًا عَرضه، أي: أخذ جانبًا غير الجانب، فصار هو في جانب وأنت في جانب آخر.

والمراد هاهنا: الإعراض التام عن دين الله، لا يتعلمه مطلقًا ولا يعمل به، يتولى عن الطاعة، كما قال الله تعالى: **﴿قُل أَطيعُوا اللهَ وَالرَّسولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الكافِرينَ﴾**[آل عمران: ٣٢]، فسمى الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- الذي يتولى ويُعرض عن دينه لا يتعلمه ولا يعمل به، سماه كافرًا -سبحانه وتعالى- ولذلك يقع في نوع من أنواع الكفر-إذ الكفر ليس نوعـًا واحداً- فمنه كفر

الإعراض، ومنه الاستكبار، ومنه التكذيب، ومنه كفر الجحود، أنواع كثيرة، فمن هذه الأنواع هذا النوع من الكفر -كفر الإعراض-.

عرَّفه ابن القيم -رحمه الله- في **(مدارج السالكين)** فقال: **"وأما كفر الإعراض: فأن يُعرِض بسمعه وقلبه عن الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لا يصدقه، ولا يكذبه، ولا يواليه، ولا يعاديه، ولا يصغي إلى ما جاء به -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- البتة**، كما قال أحد بني عبد يليل.

لما ذهب إلى الطائف النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ليعرض نفسه على أهلها قابله بعض بني يليل، فلما كلمه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال أحدهم له ": **أقول لك كلمة، إن كنت صادقًا فأنت أجلّ في عينيّ من أن أرد عليك، وإن كنت كاذبًا فأنت أحقر من أن أكلمك، فلا أصدقك ولا أكذبك ولا أسمع منك شيئًا، فأعرض عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.**

فالإعراض ترك، يترك دين الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لا يتعلمه. هل الترك فعل حتى يؤاخذ به؟ نعم، الترك فعل، من ترك شيئًا فقد فعل ضد ما هو واجب عليه، فهو فعل، فالذي يترك أذية المسلمين يُؤجَر كما قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «المسلم»، أي: من يستحق أن يُوصَف بالإسلام الكامل، **«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»**، فهذا ترك أذية المسلمين، وأُجر على ذلك.

قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عن بني إسرائيل في بيان سبب عقوبتهم: **﴿لُعِنَ الَّذينَ كَفَروا مِن بَني إِسرائيلَ عَلى لِسانِ داوودَ وَعيسَى ابنِ مَريَمَ ذلِكَ بِما عَصَوا وَكانوا يَعتَدونَ﴾**، ما معصيتهم؟ **﴿كانوا لا يَتَناهَونَ عَن مُنكَرٍ فَعَلوهُ﴾**[المائدة:

٧٨-٧٩] هذا ترك، تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعُوقبوا، فدل ذلك على أن الترك فعل.

والصحابة لما كان النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يحفر الخندق كانوا يرتجزون يقولون:

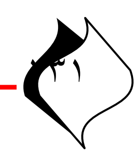
لئن قعدنا والنبي يعمل ... فذاك منا العمل المُضلَّل

لئن قعدنا في أماكننا ونبينا يعمل لا نساعده، فذاك منا العمل المُضلَّل، هذا ضلال، لا بد أن نساعد النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فسموا تركهم للعمل عملًا، فلو ترك المرء دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به فقد وقع في ناقض من نواقض الإسلام.

وهذا النوع من الكفر جاء في بيان حكمه وعاقبته في الدنيا والآخرة آيات كثيرة جدًا.

من هذه الآيات: قول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِروا مُعرِضونَ﴾[الأحقاف: ٣]، فلا يستمعون إلى الإنذار الذي يأتيهم من قِبل الأنبياء، بل يُعرضون.

وقال تعالى عن المنافقين: ﴿وَإِذا قيلَ لَهُم تَعالَوا إِلى ما أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسولِ رَأَيتَ المُنافِقينَ يَصُدّونَ عَنكَ صُدودًا﴾[النساء: ٦١]، فالذي يُعرض عما جاء به النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولا يلتفت إليه يكون قد وقع في حقيقة للنفاق كما يقول ابن القيم -رحمه الله- كما أن حقيقة الإيمان تحكيمه وارتفاع الحرج من الصدور بحكمه والتسليم لما حكم به ربنا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-



رضىً واختيارًا ومحبةً، فكذلك الإعراض عن دين الله لا يتعلمه المرء ولا يعمل به فهذا لب النفاق وحقيقة.

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُعرِض عَن ذِكرِ رَبِّهِ يَسلُكهُ عَذابًا صَعَدًا﴾[الجن: ١٧].

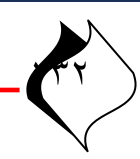
وقال تعالى عن المنافقين كذلك في آخر سورة براءة، قال: **﴿وَإِذا ما أُنزِلَت سورَةٌ نَظَرَ بَعضُهُم إِلى بَعضٍ هَل يَراكُم مِن أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفوا﴾**، لا يقبلون ما جاء في هذه السورة، قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عقابًا لهم: **﴿صَرَفَ اللهُ قُلوبَهُم بِأَنَّهُم قَومٌ لا يَفقَهونَ﴾**[التوبة: ١٢٧].

وقال تعالى: **﴿وَإِن يَرَوا آيَةً يُعرِضوا وَيَقولوا سِحرٌ مُستَمِرٌّ﴾**[القمر: ٢].

فكل هذه الآيات في بيان عاقبة الإعراض، فالذي يُعرض عن دين الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يظل طيلة حياته هكذا، لا يتعلم الدين، ولا يسعى في تعلمه، وإن تعلمه لا يعمل به، لا يُوافق الظاهر الباطن، فهذا كافر بالله العظيم ووقع في نوع من أنواع الكفر.

والإعراض نوعان:

- إعراض تام، وهو الذي ذكرنا فيه هذه الآيات، يُعرض عن دين الله مطلقًا، لا يتعلمه، ولا يأتي في باله أن يتعلمه يومًا ما أو أن يعمل به، وهذا كما قلنا ينافي الإيمان وينقضه بالكلية.



- وهناك إعراض ناقص، وهو الإعراض عن بعض الواجبات، ترى بعض الناس عندهم كسلٌ في تعلم بعض الواجبات والعمل بها، فهذا لا يكفر به المرء، ولا يخرج به من الإيمان، وإنما هذا يُنقص إيمانه لا ينقضه.

نحن نعلم كما سبق في دروسنا أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فهذا قصَّر في طلب العلم، وفي العمل بهذا العلم، وبالتالي ينقص إيمانه ولا يخرج من الإسلام، وهذا يحملنا على تعلم هذا الدين، وعلى الفقه فيه، فهو أنفس ما تُنفَق فيه الأوقات والنفوس، أن يتعلم المرء دين ربه، لماذا؟ لأنك هذه الأوقات التي تُنفقها في تحصيل الطعام والشراب وفي تحصيل ما هو زائد عن حاجتك كما هو حال كثير من الناس، يُنفقون كثيرًا من أوقاتهم في تحصيل كثير من المباحات التي لا يحتاج إليها، فهذه الأوقات الأَوْلى به أن يُنفقها في تحصيل العلم، لماذا؟ لأنك تحتاج إلى الطعام والشراب مرة أو مرتين في اليوم، والعلم تحتاج له مع كل نفَس، العلم بالله وبما جاء به النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هذا تحتاج إليه مع كل نفس، ومع كل حركة. أنت في بيتك تحتاج إلى هذا العلم مع أولادك، ومع أهلك، إذا خرجت إلى عبادة، إلى الصلاة، تحتاج إلى هذا العلم، إذا خرجت إلى السوق لتشتري شيئًا تحتاج إلى هذا العلم، إذا عاملت الناس في شيء ما تحتاج إلى هذا العلم، إذا تعاملت مع جيرانك تحتاج إلى هذا العلم، إذًا واجب عليك أن تتفقه في دين ربك.

ويكفي أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «من يُرد الله به خيرًا يُفقهه في الدين»، وبمفهوم المخالفة: أن من لم يتفقه في دين ربه هذا ما أراد الله به خيرًا، فالذي ينجو في الدنيا والآخرة هو الذي يتفقه في دين ربه -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-

وبالتالي الذي يُعرض عن الدين لا يتعلمه ولا يعمل به يُصيبه كثير من الشقاء في الدنيا والآخرة، كما بين ذلك بعض العلماء، وهو الشيخ الشنقيطي -رحمه الله- في تفسيره **أضواء البيان**، في تفسير سورة الكهف، قال عند قول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿وَمَن أظلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ فَأَعرَضَ عَنها وَنَسِيَ ما قَدَّمَت يَداهُ﴾[الكهف: ٥٧]، قال -رحمه الله-: **"في هذه الآية بيان أشياء من النتائج السيئة، والعواقب الوخيمة، الناشئة من الإعراض عن التذكرة"**، جاءته الذكرى ومع ذلك أعرض عن هذه الذكرى.

قال: **"فمن نتائجه السيئة ما ذكره الله هنا من أن صاحبه من أعظم الناس ظلمًا"**، لأن الله تعالى قال: ﴿وَمَن أَظلَمُ﴾ "وهذه الصيغة في معهود استعمال القرآن إذا قال الله: ﴿وَمَن أَظلَمُ﴾ معناها: لا أحد أظلم من هؤلاء"، هؤلاء بلغوا الذروة في الظلم.

كما قال: ﴿وَمَن أَظلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ فَأَعرَضَ عَنها﴾، وقال: ﴿وَمَن أَظلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعرَضَ عَنها إِنّا مِنَ المُجرِمينَ مُنتَقِمونَ﴾[السجدة: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَن أَظلَمُ مِمَّنِ افتَرى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾[الأنعام: ٢١]، فهذا يدل على أن هذا بلغ الذروة في الظلم، لا أحد أظلم منه، فهذه أول عاقبة سيئة.

ومن نتائج الإعراض عن دين الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: **جعل الأكنة على القلوب حتى لا تفقه الحق، تصير هناك أكنة وأغلفة على القلب عياذًا بالله، يأتيه الحق ولا يقبله، ولا يفقهه.**

وعدم الاهتداء أبدًا، كما قال تعالى: **﴿إِنَّا جَعَلنا عَلى قُلوبِهِم أَكِنَّةً أَن يَفقَهوهُ وَفي آذانِهِم وَقرًا وَإِن تَدعُهُم إِلَى الهُدى فَلَن يَهتَدوا إِذًا أَبَدًا﴾**[الكهف: ٥٧]، وكل ذلك من عاقبة الإعراض عن دين الله.

ومنها: **انتقام الله -جل وعلا- من المُعرض عن التذكرة**، فالذي يُعرض عن دين الله وعن التذكرة هذا ينتقم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- كما قال: **﴿إِنّا مِنَ المُجرِمينَ مُنتَقِمونَ﴾**[السجدة: ٢٢]، فسمى الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- المُعرِض عن دينه سماه مجرمًا؛ لأنه لا جرم أعظم من أن يُعرض عن حياة القلوب أو سبب حياة القلوب والنجاة في الدنيا والآخرة، وهو الوحي الذي جاء به المصطفى -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

ومنها: **كون المعرض كالحمار**، فالذي يُعرض عن الدين لا يتعلم هذا كالحمار، كما قال تعالى: **﴿فَما لَهُم عَنِ التَّذكِرَةِ مُعرِضينَ * كَأَنَّهُم حُمُرٌ مُستَنفِرَةٌ﴾**[المدثر: ٤٩-٥٠]، فشبههم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بالحُمر، جمع حمار.

ومنها: **الإنذار بصاعقة مثل صاعقة عاد وثمود**، كما قال تعالى: **﴿فَإِن أَعرَضوا فَقُل أَنذَرتُكُم صاعِقَةً مِثلَ صاعِقَةِ عادٍ وَثَمودَ﴾**[فصلت: ١٣]، فدل

ذلك على أن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ربما عاقب المُعرض عن دينه بصاعقة وعذاب في الدنيا قبل الآخرة.

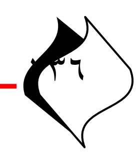
ومنها: **المعيشة الضنك، والعمى**، كما قال تعالى: ﴿**وَمَن أَعرَضَ عَن ذِكري فَإِنَّ لَهُ مَعيشَةً ضَنكًا وَنَحشُرُهُ يَومَ القِيامَةِ أَعمى**﴾[طه: ١٢٤]، المعيشة الضنك هذه في الدنيا، ويُحشَر يوم القيامة أعمى.

ومنها كذلك: **تقييض القرناء من الشياطين**، كما قال تعالى: ﴿**وَمَن يَعشُ عَن ذِكرِ الرَّحمنِ نُقَيِّض لَهُ شَيطانًا فَهُوَ لَهُ قَرينٌ**﴾[الزخرف: ٣٦]، فالله -عَزَّ وَجَلَّ- يُقيض له شيطانًا في الدنيا، لا يُقيض له ملكًا يسدده، وإنما تكون الغلبة للشيطان، هو الذي اختار الزيغ والضلال، وابتعد عن الهدى ودين الحق، قال تعالى: ﴿**فَلَمّا زاغوا أَزاغَ اللهُ قُلوبَهُم**﴾[الصف: ٥]، وقال تعالى: ﴿**وَنُقَلِّبُ أَفئِدَتَهُم وَأَبصارَهُم كَما لَم يُؤمِنوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُم في طُغيانِهِم يَعمَهونَ**﴾[الأنعام: ١١٠].

فهو لما اختار هذا الطريق -طريق الضلال- وابتعد عن الهدى وعن تعلم دين الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- قيّض الله له شيطانًا فهو له قرين، أي: لا يفارقه في هذه الحياة الدنيا، ومن ثمَّ تكون عاقبته إلى خسران.

قال: **"إلى غير ذلك من النتائج السيئة، والعواقب الوخيمة الناشئة عن الإعراض عن التذكير بآيات الله -جل وعلا-"**.

فهذا كله يدل على أهمية تعلم هذا الدين، وأن المُعرض عن دين الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- إعراضًا كليًا قد وقع في الكفر.



بهذا نكون قد انتهينا من هذه النواقض العشرة التي ذكرها المصنف -رحمه الله-.

ثم قال المصنف -رحمه الله- خاتمًا هذه الرسالة المباركة: **(ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف إلا المُكرَه).**

هذه نقطة مهمة جدًا، ومن فقه الإمام أن ختم بها هذه الرسالة، وهي: أن المرء إذا وقع في أمر من هذه الأمور العشرة، في عبادة غير الله، في اتخاذ وسائط بينه وبين الله، في الإعراض عن دين الله، في السِّحر، في تجويز أن يخرج عن شريعة محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في الاستهزاء بشيء من دين الله، إلى غير ذلك من النواقض المذكورة، لو وقع في ناقض من هذه النواقض، هازلًا، أو جادًا يكفر، كان خائفًا من هذه الأصنام أو الطواغيت أن يضروه، يكفر، قال: **(إلا المُكرَه)**، يعني من أُكره على فعل ذلك فهذا لا يكفر.

إذًا المصنف هنا أراد أن يبين لنا موجبات تكفير المُعيَّن، والموانع التي تمنع تكفيره، متى يكفر المُعيَّن؟ إن فعل شيئًا من هذه النواقض عالمًا بحكمها، إذًا هذه هي الموجبات، أن يكون عالمًا، قاصدًا، غير مخطئ ولا ناسٍ، مختارًا، غير مُكرَه، غير متأول تأويلًا سائغًا، احفظ هذه الأربعة، متى يكفر المرء عند الوقوع بالكفر؟ إذا فعل ذلك عالمًا بالحكم، ومن ثَمَّ من جهل الحكم جهلًا يُعذَر به، يعني ما قصَّر في طلب العلم، ولكن لا يعلم الحكم، ما وجد أحدًا يسأله، فهذا لا يكفر، أما إن فعل ذلك عالمًا بالحكم، كمن سب الدين وهو يعلم أن سب الدين كفر، فهذا يكفر، قاصدًا غير مكره ولا ناسٍ، يعني وقع في

هذا الكفر دون خطأ ولا نسيان، قصد أن يقول الكلمة، أما إن كان مخطئًا، إن كان ناسيًا فلا يكفر.

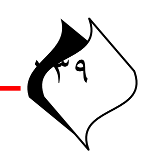
فهذا الرجل الذي كانت معه دابته في الصحراء، وكان عليها طعامه وشرابه، فهربت منه، فصار لا ينتظر إلا الموت، فنام تحت الشجرة، وتوسد يده أو ذراعه ينتظر الموت، فلما قام من نومته وجد دابته وطعامه وشرابه عليها، فقال من شدة فرحه: **اللهم أنت عبدي وأنا ربك،** قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«أخطأ من شدة الفرح»**، الأصل أن يقول: اللهم أنت ربي وأنا عبدك، يريد أن يشكر ربه -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ولكنه من شدة الفرح ماذا قال؟ **اللهم أنت عبدي وأنا ربك**، فما كفر بذلك، لماذا لم يكفر؟ لأنه ما قصد هذه الكلمة الكفرية، وإنما أخطأ، فإذا وقع المرء في الكفر عن طريق الخطأ أو النسيان فإنه لا يكفر كذلك.

وكذلك أن يكون مختارًا غير مُكرَه، كما مرَّ عن عمار بن ياسر -رضي الله عنه- كان المشركون يعذبونه، قتلوا أباه وأمه، وظلوا يعذبونه ويُرغمونه على قول كلمة الكفر، أن يقول قولة السوء في محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فأجابهم إلى ما أرادوا، ثم ذهب إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأخبره أنه أُكره على ذلك، لأنه إن لم يقل هذه الكلمة مات، فقال له النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«يا عمار، كيف تجد قلبك؟»**، قال: يا رسول الله، أجده مطمئنًا بالإيمان، أُكرِه لسانه فقط، وأما قلبه لم يكرهوه، ولا يستطيع أحد أن يُكرهك على أن تُغير معتقدك، يُكرَه اللسانُ فقط، وتُكره الجوارح، لو أكرهوه على

السجود للصنم يسجد، وأما قلبه فمطمئن بذكر الله، وبالإيمان بالله، فلما سأله النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «كيف تجد قلبك؟» قال: مطمئنًا بالإيمان، فقال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إن عادوا فعد»، وأنزل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿إِلَّا مَن أُكرِهَ وَقَلبُهُ مُطمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَن شَرَحَ بِالكُفرِ صَدرًا﴾[النحل: ١٠٦]، الذي ينشرح صدره بالكفر هذا الذي يخرج، وأما من كان قلبه مطمئنًا بالإيمان وأُكرِه على قول كلمة الكفر، أو على الفعل الكفري، فهذا لا يكفر.

إذًا لا بد في كفر الشخص أن يكون مختارًا، غير مُكرَه.

وكذلك أن يكون غير متأول تأويلًا سائغًا، أي قد يكون له وجه في العربية أو ظن جواز الفعل كما فعل معاذ بن جبل مع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فإن معاذًا لما رأى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بعد أن عاد من الشام سجد له -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والسجود لغير الله كفر؛ لأن السجود من أعظم العبادات، فما ينبغي أن تُصرَف هذه العبادة إلا لله، فمعاذ لما رأى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سجد له، فسأله النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن هذه الفعلة، «لم فعلت ذلك يا معاذ؟»، فقال: يا رسول الله، رأيت النصارى يسجدون للبطارقة والأساقفة -يعني في الشام- تعظيمـًا لهم، فأنت أحق يا رسول الله أن أسجد لك، ومعاذ ما سجد عبادة للنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وإنما سجد تكريمًا وتعظيمًا له، فقال له النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يا معاذ، إنه لا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد»، السجود لا يكون إلا لله، «ولو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»؛ لعظم حقه عليها، لماذا لم يكفر



معاذ؟ لأنه كان متأولًا، تأويل الفعل وظن أنه يجوز في حق النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

فلو فعل المرء هذه الأمور وكان جاهلًا، أي لو وقع في أمر كفري وكان جاهلًا جهلًا يُعذَر به، يعني ما قصر في طلب العلم، وما أعرض عن طلبه في هذه المسألة، وإنما طلب وسعى، ولم يصل إلا إلى هذا الأمر، فهذا يُعذَر بجهله ولا يؤاخذ.

ذكر لنا النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كذلك قصة الرجل الذي كان قبلنا، هذا الرجل أسرف على نفسه في المعاصي، فلما دنا أجله جمع أولاده، وقال لهم:" **إذا أنا مت فأحرقوني، ثم ذروني في الريح، واجعلوا نصفي في البر، ونصفي في البحر، فوالله لئن قدر الله عليَّ ليعذبني عَذابًا ما عذبه أحدًا من العالمين**" هذا الرجل كان جاهلًا بقدرة الله، ظن أنه إن فعل ذلك وجعل أولاده نصفه في البر ونصفه في البحر أن الله لن يستطيع أن يجمعه مرة ثانية، فلما مات فعل أولاده به ذلك، فجمعه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أمر ما في البر وما في البحر أن يجتمع، فقام الرجل وسأله ربه -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ما حملك على ذلك؟ فقال: خشيتك يا رب، ما فعلت ذلك إلا من خشيتك، فغفر الله له ؛ لأنه كان جاهلًا، ولم يجد من يُعلمه.

إذًا إذا وقع المرء في مُكفِّر من هذه المكفرات ما ينبغي للإنسان أن يتعجل في الحكم عليه بالكفر، ولكن عليه أن يتأنى؛ لأن التكفير أمره عظيم، قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما في الصحيحين، قال: «**إذا قال الرجل**

لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما»، أي كفَّر نفسه، فإما أن يكون من قيل في حقه ذلك واقعًا في الكفر قامت عليه الحجة، غير معذور لا بجهل، ولا بتأويل، ولا بإكراه، ولا بغير ذلك، وإلا حارت على من قال هذه الكلمة، فيعود الأمر إليه ويُكفِّر نفسه.

ولذلك قال الإمام الشوكاني -رحمه الله- في **(السيل الجرار)** قال: **"إن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يُقدم عليه، إلا ببرهان أوضح من شمس النهار"**، لا بد أن يكون معه برهان، وهذا لا يكون لا للعامي، بل ولا لطلبة العلم، هذا لا يكون إلا للعلماء، هم الذين يُقيمون الحجة، فلا بد من إقامة الحجة، ومن تفهيم الناس؛ لأن الله تعالى قال: **﴿وَما كُنّا مُعَذِّبينَ حَتّى نَبعَثَ رَسولًا﴾**[الإسراء: ١٥]، وقال: **﴿وَما كانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَومًا بَعدَ إِذ هَداهُم حَتّى يُبَيِّنَ لَهُم ما يَتَّقونَ﴾**[التوبة: ١١٥].

فهذه هي موجبات تكفير المعين

- أن يكون من وقع في الكفر قاصدًا غير مخطئ ولا ناسٍ ولا مكره.

- أن يكون غير متأول تأويلًا سائغًا.

- أن يكون عالمًا بهذا الحكم.

ومن ثَمَّ فموانع التكفير عكس هذه وهي:

- أن يكون جاهلًا.

- متأولًا.

- مخطئًا أو ناسيًا أو مُكرَهًا.

قال -رحمه الله-: **(ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف إلا المُكرَه).**

لماذا نص على المُكرَه؟ علماؤنا قالوا لنا: الذي يقرأ رسائل الإمام المجدد ويشرح رسائله لا بد أن يقف على الواقع الذي كان يعالجه، حتى تفهم كلماته؛ لأن بعض الناس أراد أن يشرح مثل هذه الأمور فقال: الإمام المجدد لا يَعذر لا بالجهل، ولا بالتأويل، ولا بالخطأ، ولا بالنسيان، لا فرق بين هذه الأمور في مجال التوحيد، من أخطأ، ومن نسي، ومن جهل، كل هؤلاء يكفرون، ولا يعذر إلا بالإكراه، لأنه قال هنا: **(إلا المُكرَه).**

علماؤنا قالوا: ينبغي أن تعلم الواقع الذي كان يُعالجه الإمام المجدد، فكان هؤلاء الذين يدعوهم وأحيانًا يحاربهم على دين الإسلام، لأنهم وقعوا وعاندوا، كانوا يحتجون بأنهم أُكرهوا على ذلك، رؤوسهم من الطواغيت، من عُبّاد الأصنام، كانوا يُكرهونهم على هذه الأفعال، فحالهم كحال عمار، وبالتالي كان الإمام المجدد يقول: إن كنتم مُكرَهين فهذا لا يُخرجكم من الإيمان، ولذلك استثنى المُكرَه.

قال: (وكلها).

يعني هذه النواقض.

(من أعظم ما يكون خطرًا، ومن أكثر ما يكون وقوعًا).

ولذلك ذكرها، لأنها أكثر ما يكون وقوعًا، فينبغي للمسلم أن يحذرها، وأن يخاف منها على نفسه، ما ينبغي أن يطمئن الإنسان إلى ما معه من الإيمان والعقيدة، بل ينبغي أن يدعو ربه الثبات.

وإبراهيم خليل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- والذي قال الله -عَزَّ وَجَلَّ- فيه: ﴿وَإِبراهيمَ الَّذي وَفّى﴾[النجم: ٣٧]، وقال: ﴿إِنَّ إِبراهيمَ كانَ أُمَّةً﴾[النحل: ١٢٠]، يقول: ﴿وَاجنُبني وَبَنِيَّ أَن نَعبُدَ الأَصنامَ﴾[إبراهيم: ٣٥]، يُكسر الأصنام بيده ويخشى أن يعبد الأصنام.

يقول إبراهيم التيمي -رحمه الله- تعليقًا على قول إبراهيم الخليل: "فمن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟!"، إذا كان إبراهيم الذي كسَّر الأصنام بيده يقول: ﴿وَاجنُبني وَبَنِيَّ أَن نَعبُدَ الأَصنامَ﴾[إبراهيم: ٣٥]، فالإنسان ينبغي له أن يسأل ربه الثبات؛ لأن القلوب بين أصبعين من أصابعه يقلبها ويُصرفها كيف يشاء -سبحانه وتعالى-.

قال: (فينبغي للمسلم أن يحذرها، ويخاف منها على نفسه، نعوذ بالله من موجبات غضبه، وأليم عقابه، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه وسلم).

وكان ذلك آخر ما جاء في هذه الرسالة الطيبة المباركة، فنسأل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أن يُعلمنا، وأن يرزقنا العمل بما نعلم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وجزاكم الله خيرًا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فهرس الموضوعات